ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1076 - الجمعة 21 جمادى الأولى 1425 هـ - الموافق 9 يوليوز 2004

الحَقُّ في والِدَيْنِ كَرِيمَيْنِ

ماء زمزم لما شرب له

القرآن الكريم يعالج قضية الانسان

مصطلح السامية كيف ثم تحريفه

قضايا مطروحة عند خطباء الجمعة

العقيدة الإسلامية في ظل الكتاب والسنة

وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين

لقد جاء الإسلام بما فيه علاج أمراض النفس، ورسم للبشرية ما إن عملت به نالت ربح الدنيا والآخرة.

فمنهاج الإسلام الرباني يحافظ على مصلحة الإنسان في حياته وبعد وفاته. ولتحقيق هذه الغاية راقب الهدي النبوي سلوك الإنسان جملة وتفصيلا فالمطبق لكليات ذلك التوجيه النبوي، المحترم لجزئياته، ينال ورضى ربه وإعجاب مجتمعه مما يزيد المومن تشبثا بالهدي الرباني الذي صاغ الإنسان صياغة رحمانية مهذبة ووجهه للعقيدة السليمة التي تتجاوب مع فطرته، كما سهر ذلك الهدي على سلوكه حتى يكون صالحا لنفسه وذويه ومحيطه والناس أجمعين، إذ حث على الإيمان والأعمال الصالحة قال تعالى: "فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون، ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وبالعمل الصالح والإيمان الراسخ يبشر الهدي الإسلامي من طبع حياته بهما أنه تضيء السعادة وجهه وتشمله رحمة الله "وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله، وهكذا ترى المومنين والمومنات الذين التزموا بالاستقامة والورع وحسن السلوك يوم لا ينفع مال ولا بنون، تراهم في بحبوحة من نعيم الآخرة نتيجة عملهم الصالح وإيمانهم الصادق قال تعالى: "يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم"، هؤلاء المومنون تزداد غبطتهم ويعمهم الفرح الدائم عندما يجتمعون بأسرهم وأهلهم الذين حاسبوا أنفسهم وراقبوا عملهم، وامتثلوا ما أمروا به حقا، والتزموا طاعة ربهم صدقا، قال تعالى: "جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فهم في معية مجموعة ميزها الله بالفضل وعلو المقام والحظوة الكاملة عند رب العالمين: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وفي دار النعيم يحيونهم الملائكة ويقولون: "إن هذا يومكم الذي كنتم توعدون".

فبما قدم المومنون والمومنات من أعمال صالحة مقبولة لا يراد بها إلا وجه الله ينالون من فضل الله وكرمه عليهم جميعا ما لا تحصيه العبارة ولا يعلم حقيقة أمره إلا الكريم الوهاب الرحمن الرحيم غافر الذنب فيقابلون ما أعطاهم الله من النعيم بالحمد والشكر ليزيدهم من فضله "لئن شكرتم لأزيدنكم" ويرددون في حمدهم الحمد لله الذي هدانا لهذا "الحمد لله الذي صدقنا وعده".

فالطائفة الناجية التي نور الله قلوبها بالإيمان يبعدها عن أماكن العذاب: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون".

أحببت أن أقدم النزر القليل مما ذكر من النعيم الذي يتفضل الله به على أهل الإيمان والاستقامة في الدار الآخرة حسبما هو موثق في كتب السلف الصالح مما نص عليه الكتاب والسنة النبوية الصحيحة واستشهدت فيما ذكرت بالآيات القرآنية، لكن هذا النعيم الدائم في دار البقاء لا يناله إلا من راقب نفسه وصح إيمانه وبلور عقيدته الصحيحة بالعمل المطلوب منه شرعا، ملتزما بأركان الإسلام ومطبقا لأحكامها منقادا لامتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه... يلتزم العهد ويفي به "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" "والموفون بعدهم إذا عاهدوا"، يؤدي الشهادة على حقيقتها "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فالمومن المستقيم اليقظ الواعي يجهد نفسه ويتعبها في إصلاح ذات البين احترازا مما يجره الخلاف على المجتمع من الضعف والتشتيت ولما ينجم عن ذلك من ظلم البعض للبعض، فالظلم حرمه الله على نفسه وعلى عباده، والهدي النبوي استنهض المؤمن أن يسعى في إصلاح المجتمع قال تعالى: "انما المومنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"، وقال: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" وقال: "لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس" كما يحذر الإسلام في كتاب الله العزيز جميع الإنسانية أن تركن للخائن والظالم والمتآمر على الآخرين قال تعالى: "ولا تكن للخائنين خصيما، ويحذر أيضا من الدفاع عن الأطروحات الكاذبة ويبين أن الله لا يحب الفئة الخائنة الآثمة قال تعالى: "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما فالله نص في كتابه الكريم أنه يبغض الخائنين ووصفهم بأنهم آثمون.

لا يرضى الهدي النبوي منا إلا الاستقامة والطهر والوضوح والوفاء، ويرشدنا الحق سبحانه إلى التراحم والصبر: "وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة كما يدعونا ديننا إلى الإحسان وإشاعة التكافل الاجتماعي ومساعدة المحتاج والعناية بالضعيف لأنه دين الرحمة والعناية بالإنسانية قال تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم".

والتوجيه النبوي الكريم يحث على التحلي بالأخلاق الحميدة من عفو عند المقدرة، كما يرغب في أن نكظم غيظنا لينتشر الود وتعم الرحمة في القلوب قال تعالى: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال : "ومن عفا وأصلح فأجره على الله".

ومن خلال المومن الفاضلة أن يقابل السيئة بالحسنة، قال تعالى: "ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار وقال: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"، والهدي النبوي يدعو للخير ويرغب فيه وينهى عن الشر ويحذر منه ، قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان فحذار أن نغتر بأقوال الذين ينعتون الإسلام بما هو براء منه، فالمسلم الحقيقي مؤمن بالبعث والآخرة وأهوال يوم القيامة وعذابها ويحاسب نفسه... ليغنم بالنعيم في دار البقاء ولا يترك وقته يضيع فيشغل وقته في هذه الدار الدنيوية بما ينفع المجتمع من تهذيب النفس ونشر السلم ومساعدة الإنسان والسعي في الخير لعباد الله بصفة عامة، جاعلا نصب عينه قوله تعالى: "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" صدق الله العظيم.

راجين منه جلت قدرته أن يوفقنا وجميع عباده لما يرضيه في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-17-

مازلنا نتابع في هذا الركن من الجريدة التوجيه الديني لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري بصفة خاصة، ولجميع قضاة المسلمين بصفة عامة، عندما يكون مطلوبا منهم الفصل في خصومة تهم الشأن العام أو الشأن الخاص للمجتمع.

والرسالة العمرية تعطي التوجيه للقاضي لاتخاذ بعض القرارات الإجرائية التي تكون الوسيلة للوصول للهدف المقصود من تنصيب السلطة القضائية، فيقول سيدنا عمر رضي الله عنه: "واجعل للمدعى أمدا ينتهي إليه إن التربية الدينية على الصدق وقول الحق من المتعاملين في الشؤون العامة والخاصة يعتبر خلقا إسلاميا مطلوبا، واتفاق المدعي والمدعى عليه على تحديد وقائع الدعوى كان الأمر جاريا عليه في العهود الماضية وخصوصا في القرون الأولى للتاريخ الإسلامي، وإن إعطاء الحق والقيام بالواجب كان يتم تلقائيا، وليست كل العلاقات الاجتماعية والأسرية والاقتصادية والمالية تصل إلى ساحة القضاء، فالناس كانوا يتعاملون على أساس حسن القصد والخوف من الله عز وجل والاعتماد على أن الاعتراف بالحق فضيلة يثيب الله عليها وأن الصدق في الادعاء والرد عليه أقرب الطرق إلى الحق والعدل، وكلما كان السلوك الإنساني قائما على ذلك كانت الخصومات قليلة أولا، والفصل فيها سهلا وميسرا لأن الصدق وحسن الخلق والقصد الجميل يساعد على ذلك، ولكن الجانب الآخر في الانسان موجود، فمنهم من يتقاضى عن حق، ومنهم من يلجأ للقضاء للحصول على الباطل والسبل المودية لذلك متعددة في الحياة الاجتماعية للإنسان.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

ماء زمزم لما شرب له

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ حدثنا التجيبي فيما سبق عن بئر زمزم، وعن أسمائها العديدة، وعن موقعها من الكعبة المشرفة، والمسافة بينهما، وعن قبتها التي يصعد فوقها المؤذنون، ويدعون للسلطان، ولأمير مكة في ليالي رمضان، وفي المناسبات، وبعد ذلك روى قصة حفر بئر زمزم من قبل عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن السقاية ظلت في بني عبد المطلب، يقول التجيبي : إلى يومنا هذا، وبعد ذلك قال: وفضل الشراب من زمزم المباركة مروي صحيح مشهور، وأخذ يذكر الأثر الواردة في ذلك، وروى بسنده إلى عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام... وفيه (أي في الحديث الطويل عن اسلام أبي ذر رضي الله عنه):

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: متى كنت ها هنا؟قال: كنت هاهنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة: وقال: من كان يطعمك؟ قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكَنُ بطني، وما أجد على كبدي سَخفَةَ جوعٍ، قال: إنها مباركة، إنها طعام طعم.."

واختصر التجيبي قصة إسلام أبي ذرليقف على ماورد في بركة ماء زمزم، وهي مذكورة في الصحيحين وغيرهما، وأنه رضي الله عنه عاش على ماء زمزم فترة من الزمن، عندما دخل إلى مكة باحثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لايريد أن يسأل عنه خشية قريش، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعرف عليه، إلى أن لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلن إسلامه، وخرج من عنده وهو يجهر بالشهادتين على ملإ من قريش، وأن قريشا ضربوه، ولولا تدخل العباس بن عبد المطلب لإنقاذه مرتين لهلك، محذرا قريشا بأن قومه غفارا في طريق تجارتهم إلى الشام، وقد أطال كتاب السيرة في قصة إسلامه رضي الله عنه، وقالوا إنه كان يوازي عبد الله بن مسعود في العلم، وهو لم يحضر بدرا، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وتمتع بصحبته، وفيه قال عليه الصلاة والسلام: "ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر". رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما، وفي شأنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده" (الإصابة لابن حجر) وقد توفي وحده رضي الله عنه بالربدة سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود، الذي مات بعده بقليل.

يقول التجيبي عن قوله صلى الله عليه وسلم "إنها طعام طعم" أي تصلح للأكل، والطعم بالضم مصدر، أي تغني شاربها ومطعمها عن الطعام، وقيل لعله: طعم بفتح الطاء، أي طعام يشتهى، والطعم شهوة الطعام، والرواية عندنا بالضم لاغير في الطاء وسكون العين، وقيل لعله طعَامٌ طعُم بضم الطاء والعين. معا. أي طعام طاعمين، كثيري الأكل، لأن ظعما جمع طعوم، وهو الكثير الأكل، وقيل معناه طعام مسمن، وقوله تكسرت عُكن بطني، أي طياته سمنا، كان ينطوي بعضها على بعض، وقوله: سخفة جوع، بفتح السين هو: رقته وهزاله، والسخف بالفتح رقة العيش، وبالضم رقة العقل...

والتجيبي رحمه الله روى الحديث بسنده المتصل، ويقول: والرواية عندنا بالضم لاغير، أي في قوله. صلى الله عليه وسلم. : "إنها طعَامُ طعْم" وشرح ألفاظ الحديث وضبطها، وذكر معناها في اللغة ليسهل على القارئ فهم المراد من الأثر الذي أورده في بركة ماء زمزم.

وبعد ذلك يورد حديثا آخر بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ماء زمزم لما شرب له" وهذا الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه والإمام أحمد في مسنده، ثم أتى بحديث آخر بسنده أيضا، عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "زمزم لما شرب له: إن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته ليُشْبِعَكَ أشبعك الله به، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه، وهي همزة جبريل، وسقى الله تعالى إسماعيل".

وروى حديثا آخر عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: "تنافس الناس في زمزم في الجاهلية حتى إن كان أهل العيال، يغدون بعيالهم، فيشربون منها، فتكون صبوحا لهم، وقد كنا نعدها عونا على العيال".

يقول التجيبي رحمه الله "قلت": "والبركة بفضل الله تعالى موجودة في زمزم إلى يومنا هذا، وكذلك تكون إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة لمن خلصت نيته، وسلمت طويته، وقد جرب بركتها جماعة من العلماء والعباد، والصلحاء والزهاد، فشربوها لمطالب لهم جلية فنالوها.

وأتى بحكايات عن بركة شرب ماء زمزم منها: قال: وبلغنا أن القاضي الأجل أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى، أنه قال: كنت بمكة مقيما في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربع مائة، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرا، وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي ببركته في المقدار الذي يسر لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل، ويالليتني شربته لهما، حتى يفتح الله علي فيهما، ونسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته، وبلغنا أيضا أن أبا بكر يحيى بن أحمد بن سعود الأنصاري القرطبي شرب ماء زمزم لحفظ القرآن فتيسر عليه حفظه في أقرب مدة، وكان حسن الصوت به، والإيراد له، يستدعيه الولاة لصلاة التروايح بهم في رمضان... وأخبرنا الحاج أبو موسى عيسى الشدادي المغربي الريفي ثم النزغي أنه ولدت له بنية مقعدة، وأنها نشأت كذلك، قال: فحججت بها، وطفت وسعيت، ثم أتيت بها زمزم فسكبت عليها من مائها المبارك، فشفاها الله تعالى، وبرئت من علتها وصحت وقد زوجتها، وقرت عيني بها.. ثم يقول: وقرأت بخط المحدث الرحال أبي إسحاق ابراهيم السلمي.. قال: لما أردت أن أشرب ماء زمزم فكرت لأي شيء أشربه فتحيرت، ثم تذكرت أن أشربه لإجابة الدعاء، قال فما سألت الله في تلك المواقف في شيء إلا أعطانيه، إلا دخول الجنة، قال وكان من سؤالي ألا يحوجني إلا الاستسلاف من أحد، ففضلت لي فضلة كثيرة من الزاد، والحمد لله".

وقد أكثر التجيبي من الحكايات، وذكر الكرامات والخوارق، وأطال في ذلك إلى أن قال: "وينبغي للغريب أن يستكثر من شرب هذه البئر المباركة طول إقامته بمكة المشرفة، وأن يكثر الترداد إليها، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: "صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، فقيل له ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل وما شراب الأبرار؟ قال: زمزم" وإذا رجع إلى بلاده فليصحب منها شيئا يتحف به إخوانه وأصحابه، فإن ماءها من أعظم مايهدى ويستهدى، وأخبرنا محمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد، وذكر بإسناد له: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى سهيل بن عمرو يأمره أن يبعث إليه من مائها إلى المدينة، ويشرقي قبة زمزم المذكورة بيت صغير متصل بالقبة المذكورة، يقال إن زبيدة رحمها الله تعالى بنته لتكون به مهما أرادت الشرب من زمزم، ولتغتسل به، وبداخل المسجد الحرام أيضا قبة أخرى قريبة من قبة زمزم المذكورة، مقبوة على أرجل، وبابها ناظر إلى دار الندوة تعرف بقبة الشراب، وبالسقاية أيضا، وبقبة العباس رضي الله عنه، يبرد فيها ماء زمزم المباركة، ويخرج في آخر النهار لسقي الحجاج والمجاورين، ويجعلونه في قلال بيض يدعونها بالدوارق، وكل دَوْرَقٍ منها ذو مقبض واحد، وخلف هذه القبة بيت صغير أيضا يلازمه شيخنا الإمام العابد عماد الدين أبو محمد المكي، ويسمع فيه الحديث، ويتعبد فيه، ويعتكف، نفع الله به، وأعاد علينا من بركته...

وبعد كلام طويل يذكر قبة أخرى بداخلها المصحف العتيق المنسوب لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، أخبرني بهذه النسبة الشريفة. أي نسبة المصحف لعثمان. من يُعْتَدّ به من المكيين والقادمين عليهم، وكل من بمكة الآن من الفضلاء والعلماء والعباد، أوجلهم يقولون: إنهم أدركوا آباءهم وأجدادهم، ونقل أجدادهم وآباؤهم عن أجدادهم وابائهم كذلك على مر السنين أنه مصحف عثمان رضي الله عنه، بخط يده، وذكر الأديب الفاضل أبو الحسين بن جبير رحمه الله أن هذا المصحف الشريف بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه أحد الذين أمرهم عثمان بنسخ المصحف... دخلنا هذه القبة يوم الجمعة الثاني عشر لشوال من سنة ست وتسعين وستمائة، وعاينا بها المصحف العتيق المبارك المذكور، وتبركنا بالقراءة فيه، والنظر إليه، وقرأنا فيه نظرا ماتيسر، نفع الله بذلك... والمكيون يفخرون به، وحق لهم ذلك، لأنه مصحف باشرته أيد جمعت التنزيل، وأخذته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم."

والى حلقة أخرى بحول الله)..

(تتمة ص:1)

ولوضع حد في المسطرة القضائية طلبت الرسالة العمرية من القاضي أن يستجيب للمدعي في طلبه الأجل لإعداد حجته على مايدعيه "واجعل للمدعي أمَدًا ينتهى إليه".

عندما كان الصدق أساس التعامل بين الناس وخصوصا وأن التربية الإسلامية تعتبره ركنا أصيلا لم يكن الناس محتاجين لإقامة الحجة عند المعاملة فكانت الأموال المنقولة والثابتة تنتقل بين الطرفين وتعمر الذمم دون استعمال وسيلة الإثبات الكتابية والشفوية (الشهود) وخصوصا في مرحلة انتشار الأمية، ولكن الاستثناء يبقى دائما موجودا ووادرا على الحياة العملية، وفي هذه الحالة فإن المدعي قد يطلب أجلا وأمدا لإعداد حجته ردا على موقف المدعى عليه السلبي في موضوع الدعوى، وقد تكون الحجة موجودة فعلا ولكنها غائبة، فعلى القاضي أن يمنح أجلا للمدعي ينتهى إليه ادعاؤه، فإن أحضر بينة صحيحة مسلمة مطابقة للشروط المرعية في تنظيم التعامل بين الناس فإن الموقف يتغير في هذه الحالة ويبقى عرض الحجة على الخصم فقد يكون له فيها مطعن أو رأي بل إن القاضي عليه أن يقوم بفحص الحجة من الناحية الشكلية هل هي اعتراف بحق أو بينة من الغير على حق، وفي هذه الحالة فإن الشاهد لكي يقبل قوله يجب أن تتوفر فيه الشروط الشرعية للإشهاد وغير ذلك ، وفي النهاية إذا ثبت الحق ولم ينازع فيه يصل القاضي إلى النتيجة المطلوبة منه حسب نص الرسالة "فإن أحضر بينتة أخذ بحقه وإلا وجهت القضاء عليه فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر".

وتتابع الرسالة العمرية توجيه القاضي في داخل نفسه ليخلصه من الشك والتردد وليعتمد على ما أوصله إليه اجتهاده وتحريه في الرأي والإعلان عن القرار النهائي في الخصومة اعتمادا على ماوقع تقديمه إليه من حجج وبينات أمامه وما اشتملت عليه من تحديد لصالح المدعي أو المدعى عليه، لايطلب من القاضي أن يصل إلى ماهو حق أو باطل في الواقع ولكن إلى ماتثبته الحجج والبينات، فإذا كانت هذه تخفي الحقيقة فإن الله تولى عنكم السرائر ودرأ عليكم بالبينات، ولايطلب من القاضي أن يستند في حكمه إلى علمه بحالة النازلة أو الدخول في ضمائر الخصوم لاكتشاف ماهو مستور، فإن البينات والموجبات والحجج المدلى بها هي التي توجه القاضي للحكم في النازلة، وليتذكر في هذا الشأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر"

فالقاضي عليه أن يبني حكمه على ظاهر الحج والبينات، ويبتعد عن الدخول في بيانات الخصوم وقصدهم وأسرارهم فإن ذلك يتجاوز حدوده "إن الله تولى منكم السرائر"

وفي العدد المقبل إن شاء الله نتابع وصايا سيدنا عمر للقاضي والسلام.

الوثاق

تقييد في متولي القضاء والفتوى والشهادة

للشيخ العلامة خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بن المرحوم سيدي المدني كنون رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله سريع الحساب ، المان بإلهام الصواب، والصلاة والسلام على الفضل من اوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الإنجاب، عدد خلق الله بدوام الله رب الأرباب،
وبعد فقد ورد العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فسلوا رحمكم الله، فإنه يوجر فيه اربعة، السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم، وورد ما اهدى مسلم لأخيه هدية افضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدي، أو يرده عن ردى، وإني لمعترف بقصر باعي، وقلة اطلاعي، فبالله عليكم هل تعلمون فيمن تقدم او تاخر، ومن يعتبر لفتواه أو لا يعتبر، من كان يتعاطى فصل النوازل مع الإفتاء فيها، ولا أظن احدا الا يكون عن ذلك نزيها بل الذي يظهر لعقلي القاصر، وفهمي الفاتر، انه لو اجمع على جواز ذلك فيما تقدم من الاعصار الكثيرة الصدق والإنصاف والزهد والتجرد والأنوار لم يجوزه اليوم احد من اولى الابصار، لضد المذكورات وغير ذلك من الأشرار، كنصب حبائل الرشى والمداهنة والأضرار، كما لا يخفى على اولى الأنظار حتى قال في المدخل عن صاحب كتاب الأنوار، إنا لله وإنا إليه راجعون على موت الأخيار، والبقاء مع قوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار هـ
انشد لبعض الأدباء الأبرار:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم* * * والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * * * بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة * * * في صورة الرجل السميع المبصر
فظن بكل مصيبة في مال* * * فإذا اصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيبا مثله * * * من يسع في علم باب يظفر

الحلقة الثالثة

السلام أفتى في نازلة فتبين له الخطأ بعد فوات السائل، وطلبه فلم يجده فأقام مناديا ثلاثة أيام يقول إلا من أفتاه ابن عبد السلام في مسألة كذا، فلا يعمل به فإنه خطا صراح هـ.

وفي المدخل جاءت امرأة إلى الشيخ الجليل أبي الحسن الزيات فاستفتته فأجابها ثم مضت، فما هو إلا قليل، وإذا بالشيخ قد تغير وجهه، وأخذ ثوبه فجعله في فمه، وخرج يجري حاميا إلى أن لحق المرأة وأخذ الفتوى منها، ثم رجع فسأله أصحابه عن موجب ذلك، فقال ذكرت أني وهمت في جوابها فأسرعت ليلا تفوتني، فقالوا لو أمرتنا لفعلنا ذلك، فقال ما هي في ذمة أحد منكم، فلو فعلت ذلك لكان أحدكم يقوم على هيئته، وحتى يلبس نعله، وحتى يمشي المشي المعتاد، أو أكثر منه قليلا، فقد تفوت المرأة، فلا يعلم جهتها، والذي تتعلق المسألة بذمته هو الذي يعلم ما جرى عليه فيبادر إلى خلاص نفسه هـ،

■■■

الفائدة الثانية يعلم مما تقدم أن الإفتاء عند العلماء، إنما هو بيان حكم الله في النازلة المسؤول عنها من غير زيادة فيها، ولا نقصان عليها، ولا تدعيمها بشقشقات لسان، ولا سفسطات بهتان، ولا شعوذة هذيان، كما هو شأن مفتي هذا الزمان، لكنهم خبئوا نونهم في لفظة الافتان، ليوهموا أنهم من أهل العلم والعرفان، وما دروا أنه عند الامتحان يعز المرء أو يهان، ومن ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان،

مهما تكن عند امرء من خليقة
ولو خالها على الناس تخفى تعلم
وما في السرائر على الأسرة يلوح، ولاخفاء على منصف نصوح، ان امتحانهم ينشد ويبوح، لقد غلبت دعاة الفقه حتى، لقد غلب النهيق على الصهيل، ثم يصيح وينوح،

■■■

الفائدة الثالثة يعلم مما تقدم أن الإفتاء عند العلماء، إنما هو بيان حكم الله في النازلة المسؤول عنها من غير زيادة فيها، ولا نقصان عليها، ولا تدعيمها بشقشقات لسان، ولا سفسطات بهتان، ولا شعوذة هذيان، كما هو شأن مفتي هذا الزمان، لكنهم خبئوا نونهم في لفظة الافتان، ليوهموا أنهم من أهل العلم والعرفان، وما دروا أنه عند الامتحان يعز المرء أو يهان، ومن ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان،

مهما تكن عند امرء من خليقة
ولو خالها على الناس تخفى تعلم
وما في السرائر على الأسرة يلوح، ولاخفاء على منصف نصوح، ان امتحانهم ينشد ويبوح، لقد غلبت دعاة الفقه حتى، لقد غلب النهيق على الصهيل، ثم يصيح وينوح،

■■■

وورد أيضا كما في الجامع الصغير أجراكم على الفتيا أجراكم على النار، قال النووي لأن المفتي مبين عن الله حكمه، فإذا أفتى عن جهل أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره واستنباطه، فقد تسبب في إدخاله نفسه النار لجراءته في احكام الجبار ءاله آذن لكم أم على الله تفترون.

■■■

قال الزمخشري كفى بهذه الآية زجرا بليغا عن التجوز في الفتوى، وباعثا على وجوب الاحتياط فيها، وأن لا يقول أحد في شيء جائزا وغير جائز، إلا بعد إتقان وإيقان، ومن لم يوقن فليتق الله، وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله تعالى، قال تعالى، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليظل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين،

■■■

وأخرج أبو داوود، والحاكم من أفتى بغير علم، كان إثمه على من افتاه، ومن أشار على اخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه، واخرج ابن عساكر عن علي كما في الجامع الصغير، من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض.

■■■

وقال المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن علي اكبيل الاندزالي السوسي، في نظم له في البدع ذكر في أول شرحه أنه عرضه على الإمام أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر نفعنا الله به، فاستحسنه، ما نصه،

كم عالم ليست له سلامة
لكونه يخاف من ملامة
يخاف من مقالة الإنسان
ولم يخف من غضب الرحمان
كم جاهل يظنه العوام
انه بحر العلم لا يرام
فيسألونه ويفتي الهالك
بغير حكم الله عند ذلك
لأنه إن ترك الجواب
نقص في قلوبهم وخاب
كم فاجر مبتدع سحار
يكون عندهم من الأبرار

■■■

ولعظم خطرها كانت الصحابة رضي الله عنهم مع سعة علمهم، وجلالة قدرهم يفرون منها حتى قال ابن أبي ليلى، أدركت مائة وعشرين من الصحابة إذا جاءت أحدهم فتوى، ردها إلى غيره، حتى تدور على جميعهم، وترجع إلى أول مسؤول، قال حجة الإسلام، فانظر كيف انعكس الحال حتى صار المهروب منه مطلوبا، والمطلوب مرهوبا، ولم يزل العلماء رضي الله عنهم يستعظمون أمر الفتوى، ويهربون منها، هروبهم من الأسد وأشد، ويحتاطون فيما يجيبون به غاية الجهد كما يات،

وقد أنشد شيخ الأعصار والأمصار أبو عبد الله القصار:

تسع أبى منها، أولو الأحلام، والهمم السنية
إلا بحال ضرورة تدعوا لها مع حسن نية
وهي الشهادة والوساطة
والحكومة في القضية
وكذا الإمامة والوديعة
والتعرض للوصية
ثم الإجابة للطعام وللولائم والهدية

■■■

وقد يدعي علم الشريعة معشر وباعهم في الفقه أخصر من ظفر، وظنوا بمجرد ذلك انهم على شيء، وانهم غلبة الشهوة الباطل خفا، وفتحت لهم أبواب التاويل فيه، فجعلوها شبها يتمشدقون بها، فضلوا وأضلوا، وعليهم إثمهم وإثم من غروه بذلك من غير أن ينقصوا من أوزار المغرورين، ويسأل كل واحد منهم عن ذلك ليس بينه وبين الله ترجمان، ولذلك تجدهم إذا جاءهم المستفتي برسم سألوه عن غرضه فيه وهواه، هل تصحيحه أو إبطاله مناه، فأيهما كان مراده ومأموله مهدوا له زخرفا من القول وباطله، والباطل كما لا يخفى زاخر لا ساحل له، ثم بعد ذلك حرفوا كلام الأيمة ووضعوه غير محله، حتى صيروا الفتوى علما بالغلبة على تلقين الفجور للخصوم الفجرة، ولم يبقوا لها مصرفا لمعناها الشرعي البتة ولقد سمعت بعض العوام يقول أنا بالله والمخرن، وأما الشرع فإنما هواتلاوي، وهذه مقالة شنيعة جدا إن لم تكن قريبة من الكفر كانت عينه.

■■■

نسأل الله العافية وحسن الخاتمة بمنه وفضله، والذي في ذلك ونحوه أوقعه ما هم عليه ففتنوا الوقت الجهلة، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض الآية يحرفون الكلم عن مواضعه، انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، بل تجد الواحد منهم إذا خاف المعرة يقول لولا أني أفتيت الخصم الأول لأفتيت خصمه، وبعضهم لا يتحاشى عن ذلك، ولا يبالي وصمه، فيفتي لكل بما يوافق شهوته، ولا يراعي في ذلك خالقا، ولا خليقة، وقد قال اليوسي في قانونه ما نصه، وقد سمعت بعض المدرسين قديما يفتخر ويقول، أنا الذي لا أقف أبدا إن لم أجد جوابا شغلت السائل بالبحث في سؤاله، وهو بلاء عظيم اجتمع فيه الجهل واللدد والكبر، والرضى عن النفس، نسأل الله العافية هـ.

■■■

ولذلك تجد الخصوم يتسابقون إلى المفتين تسابق الكلاب إلى الجيف، ليغتنموا ما عندهم من الباطل المتعسف خشية أن يسبقهم خصومهم إلى ذلك، فيعسر عليهم إفتان المفتيين ثانيا إلا بالبذل الكثير على ذلك، وذلك لما رسخ في ذهن الخصوم الفواسق، ومن صنيع هؤلاء المفتين، أن الفتوى تابعة لهوى السابق وأن الشرع هو ما يوافق النفس وتهواه، وحتى إذا سمعت بعضهم يقول إنا بالله والشرع، فإنما يقصد ذلك ويراه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله، كلا والله ثم والله إن العلماء كانوا يحتاطون صورة النازلة غاية، ويتثبتون في تصورها، وطلب تفسير مجملها، وإثبات ما يحتاج إلى الإثبات من فصولها إلى غير ذلك فوق النهاية، ثم بعد ذلك يتمهلون في الجواب ولا يتعجلون خشية عدم مصادفة الصواب، والذي هو بالنسبة للمقلد متحد قطعا وجزما، وليس هو تابعا لهوى أحد ولا لهوى باذل حطاما حراما...

يتبع /...

الحديث السادس والمائة: وجوب دوام تربية الأبناء

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت " رواه أحمد

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

■ كنا قد تناولنا في الحلقة الماضية، ونحن نستظل بوافر ظلال هذا الحديث النبوي العظيم، الذي من خلاله وبأسلوب الترهيب، يؤسس النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، لمنهج عظيم فيما يخص العلاقة التي يجب أن تربط الوالدين بأبنائهما، فرعاية الأبناء والمحافظة عليهم، ووقايتهم مما يضرهم، ليس واجبا من باب الأبوة فحسب، بل الأمر يتعدى ذلك فيصبح عبادة يتقرب بها المرء إلى ربه، وأمانة يتحملها إن هو ضيعها فقد باء بإثم عظيم.

ولقد تناولنا كذلك أن الفهم لهذا الحديث العظيم يجب أن يتجاوز الجانب المادي الذي يحرص جل الآباء على توفيره وضمانه لأبنائهم، يتجاوز ذلك إلى الحرص على تربيتهم تربية سليمة تؤهلهم للحياة السعيدة في الدنيا، والنجاة من العذاب يوم القيامة، ذلك أن الخسران الحقيقي والأكبر هو أن يخسر المرء نفسه وأهله يوم القيامة، كما أشارت إلى ذلك سورة الزمر في قوله تعالى : (قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين).

فالولد من أفضل النعم التي تكرم الله تعالى بها على المرء، فهو زينة الحياة الدنيا ورونقها، بالولد يسعد الناس وقد يتباهون، ويتمنون لهم كل خير وبر، ولذا نجد الإسلام يحث على أداء حقوق الأبناء، من خلال عدة محطات، انطلاقا من اختيار الزوج، ومرورا بوجوب حمايته وهو جنين، ورعايته وهو ولد صغير، وحسن تربيته لتأهليه لأن يكون صالحا مصلحا، سعيدا في الدنيا والأخرة ما أمكن...

أ- حقوق الطفل بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية

إن الناظر إلى الاتفاقات والمواثيق الإقليمية والدولية سيجد أن التركيز موجه إلى الجانب المادي أي ما يتعلق بالمرحلة العمرية من الولادة إلى الرشد، وحتى وهي تتكلم عن حقوق الطفل في هذه المرحلة فإنها تغفل تماما الجانب الأساسي وهو: الطفل/واجبات وحقوق، لأن الكلام عن الحقوق فقط دون الإشارة إلى الواجبات يؤسس لفكرة الصراع، وليس لفكرة البناء والتعايش والعمل على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق...ومن ناحية أخرى فإن هذه القوانين تغفل الجانب العقائدي والتعبدي والذي لايمكن للحياة أن تستقيم ما لم يكن الإنسان على بينة من عدة أمور تتعلق بوجوده ومابعد عدم وجوده... وعن علاقته بربه وخالقه، وعما يلزمه القيام به من أعمال تؤهله لأن يكون سعيدا في الدارين... وإن هذه الوثائق والقوانين كما يعلم المطلعون، تغفل تماما حق الطفل في أبوين كريمين، متخلقين متدينين، وحقه في حسن تربيته رجاء حمايته من الناظر، وهي لاتشير إلى هذه الحقوق الهامة، لا إشارة ولا تلميحا...

أما إذا نظرنا إلى حقوق الطفل في الإسلام، فإننا نجد أنها تبدأ قبل وجوده، وتستمر بعد وجوده، ولقد اعتنى الإسلام بهذه الحقوق عناية خاصة، ومنحها أولوية على أمور تعبدية والنصوص والشواهد من الحديث والسيرة النبوية العطرة كثيرة من أن تحصى في هذه العجالة، وسنركز على أهمها.

ا- الحق في والدين كريمين

إن الحديث الذي بين أيدينا يحثنا على وجوب المحافظة على سلامة وسعادة الأبناء، ليس من حيث الملبس والمشرب والمأكل والسكن والترفيه فقط، أي الجانب المادي، ولكن يؤكد على أنه ليس هناك ذنب أعظم عند الله تعالى، من أن يضيع المرء من هو تحت رعايته وكفالته ونفقته، سواء كانوا أبناء أو زوجة، أو خدما...، وذلك بتضييع حقه في العيش الكريم في الدنيا والنجاة من النار يوم القيامة، وسنقتصر على حقوق الأبناء، ليس استهانة بحقوق الآخرين، ولكن لأننا أردنا أن نخصهم بالحديث للتذكير والتنبيه على ضرورة دوام التربية، رغبة في سعادتهم الدنيوية والأخروية ، ولنذكر القارئ الكريم/القارئة الكريمة، على أن التربية لاتختص بزمن معين، كالموسم الدراسي مثلا، وأن العطلة هي عطلة من كل الالتزامات تجاه الأبناء وتركهم يقضونها دون مرشد معين، أو رقيب رحيم، ولذا وجب التذكير إضافة إلى ما ذكرناه في الحلقة السابقة، بأهم الحقوق وأخطرها...

وإن من الحقوق التي أغفلتها القوانين الوضعية، حق الطفل في أب وأم متخلقين ومتدينين، ضمانا لهدايته وسعادته، وفي ذلك يقول رب العزة في محكم التزنيل، وهو يحدد ضوابط العلاقة التي تجمع الزوجين: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الروم، وهو لتحقيق هذه الغاية يحث الذكور والإناث على السواء على حسن اختيار الشريك، يقول الله تعالى: (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة/الآية:221، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي (ﷺ) قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" سنن ابن ماجة، كتاب النكاح رقم:2043.

وإن المتأمل في هذه النصوص يتبين له بوضوح تام أنها تركز على عنصري الدين والخق في الزوجين، ويعتبرهما أساسين في نجاح الأسرة، وتحقيق سعادتي الدنيا والأخرة، وباحترام هذه الشروط والمواصفات التي حددتها الآيات والأحاديث، نكون قد هيأنا الجو الملائم لوجود الطفل...

ب- الحق في الحماية من النار

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون)التحريم/الآية:6.

إن هذا الحق هو الفيصل بين حقوق الطفل في القوانين الوضعية وحقوقه كما جاءت بها نصوص الشريعة السمحاء من كتاب وسنة، وإجماع الأمة، إن حماية الطفل من النار يوم القيامة هو أغلى مايمكن لأب أو أم أن يهدياه لفلذة كبدهما، فاحذر أيها الأب الكريم، واحذري أيتها الأم الفاضلة أن يضيع منك ولدك فيهلك ويكون لجهنم حطبا... ماذا تغني عنه مناصب الدنيا من آدم إلى يوم القيامة...؟ مايغني عنه ماله ولو كان ملء الأرض ذهبا...؟ مايغني عنه جاهه وسلطانه...؟ إن كان من أصحاب النار...(وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ماحسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لايأكله إلا الخاطؤون)سورة الحاقة.

هذا مشهد من تلكم المشاهد التي يشيب لها الولدان، والتي جاءت بها الآيات البينات في محكم التنزيل تخويفا للمؤمنين من عذاب الله، وحثهم على الهدى والتقى، والالتزام بالمنهج القويم والصراط المستقيم، وأن يحفظوا ماستطاعوا . في هذا الزمان المفتون أهله . أبناءهم من نار الجحيم.

أن تحتفظ ولدك من النار، خير هدية، وأفضل عطية، ولن يكون ذلك إلا بدوام التربية السليمة على نهج النبي المصطفى وصحبه والسلف الصالح من أمته، ورحم الله مالكا بن أنس حين قال: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"... فعليك أن تسرع لإنقاذ فلذة كبدك من نار الجحيم، والله ولي التوفيق...

ا- مسؤوليات الأسرة المسلمة تربويا

الأسرة المسلمة هي المعقل الأول، الذي ينشأ فيه الطفل، في جو التربية الإسلامية ونعني بهذه الأسرة التي التقى ركناها على تحقيق الهدف الذي شرع من أجله تكوين الأسرة كما أسلفنا آنفا، فلو تأملنا بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع لوجدنا أن أهم أهداف تكوين الأسرة هي إقامة حدود الله أي تحقيق شرع الله ومرضاته في كل شؤون الزوجين وعلاقتهما الزوجية وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية، وبهذا ينشأ الطفل ويترعرع في بيت أقيم على تقوى من الله ورغبة في إقامة حدود الله، وتحكيم شريعته فيتعلم، بل يقتدي، بذلك من غير كبير جهد أو عناء،إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد ويقتنع بعقيدتها الإسلامية حتي يصبح واعيا، وإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل فحينئذ يتربى الناشئ في جو سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة، بعيدا عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته، وعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء، ووقايتهم من الخسران والشر والنار، التي تنتظر كل إنسان لا يؤمن بالله، أو يتبع غير سبيل المؤمنين، وهذه المسؤولية تزداد أهمية في أيامنا هذه لأن بعض عناصر الحياة الاجتماعية، خارج الأسرة والمسجد، ليس في كل الأحيان موافقة لهدف التربية الإسلامية، كالقنوات الفضائية، ومواقع الأنترنيت، وبعض المجلات الخليعة، والقصص الماجنة التي تتسرب إلى أيدي الأطفال خصوصا في فصل الصيف، فإذا لم يكن الأبوان يقظين حذرين، لم يستطيعا إنقاذ أبنائهما من اجتيال الشياطين، شياطين الإنس والجن، والرحمة بالأولاد من أهم الغرائز التي فطر عليها الإنسان، وجعلها الله أساسا من أسس الحياة السليمة، وتتحمل الأسرة وقوامها الأبوان، مسؤولية رحمة الأبناء ومحبتهم والعطف عليهم، لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي، نموا قويما سويا، فإذا لم تتحقق المحبة للأبناء بالشكل الكافي المتزن، نشأ الطفل منحرفا في مجتمعه، لا يحسن التآلف مع الآخرين، ولايستطيع التعاون أو تقديم الخدمات والتضحيات، وقد يكبر فلا يستطيع أن يكون عضوا مكيفا مع مجتمعه أو أبا رحيما أو زوجا متزنا حسن المعشر، ولا جارا مستقيما لايؤذي جيرانه، أو زميلا محبا لزملائه في العمل، ولذلك ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا في محبة الأطفال ورحمتهم والصبر على مداعبتهم، وهذه بعض الأدلة من حياته صلى الله عليه وسلم: فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أنه قال: حدثنا أبو قتادة قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم، وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها، وروي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا،فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ماقبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لايرحم لا يرحم" والعطف على الأطفال لايقتصر على الرضع بل يشمل من هم أكبر من ذلك، لأن حاجتهم إلى العطف لاتقتصر على سن معينة من طفولتهم، بل تشمل معظم مراحل الطفولة، وقد جاءت التجارب العلمية مؤيدة لهذا المبدأ التربوي النبوي، فقد ثبت أن الطفل الرضيع لاينمو على الغذاء فحسب، بل على عطف الأم الذي لايقل أهمية عن الغذاء، بل هم أهم منه في تربية شخصية الناشيء فقوام الأسرة هو الحب المتبادل، حتى إذا شب الطفل، استطاع نقل هذا الحب معه إلى خارج البيت إلى المجتمع الإسلامي فيتراحم المسلمون، ويتحابب أفراد المجتمع وبذلك يستقيم أمر المجتمع.

اللهم أصلح لنا أولادنا واجعلهما قرة أعين لنا، واحفظهم اللهم بحفظك الكريم...آمين.

حديث المنابر

القرآن الكريم يعالج قضية الإنسان

■ إعداد الأستاذ: محمد المهدي بوزيد

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان من نطفة أمشاج وجعله سميعا بصيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له هدى الناس إلى السبيل المستقيم وهيأ للأبرار جنة النعيم، وللكافرين أغلالا وسعيرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ومضى في دعوته يعرف الناس بربهم الحق دون أن يطلب منهم جزاء ولاشكورا.

صلى الله عليه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يخافون من ربهم يوما عبوسا قمطريرا. فبشرهم رسول الله بأن الله تعالى وقاهم شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا فاتقوا الله. عباد الله. تفوزون بها عند ربكم يوم لاينفع مال ولابنون.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة المؤمنون يقول الله تعالى في سورة الأنعام (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا. وأجل مسمى عنده. ثم انتم تمترون. وهو الله في السموات وفي الأرض. يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون).

أيها المؤمنون إن هذه الآيات من سورة الأنعام المكية لتجمع اللمسات العريضة للحقيقة الكبيرة، والتي تخاطب القلب البشري والعقل البشري بدليل (الخلق) ودليل (الحياة) خطابا موقضا للفطرة الداخلية ليوقع فيها اليقين بوحدانية الله بل ومعرفة وجود الله، لأن المشكلة التي كانت مهيمنة دائما في تاريخ البشرية هي مشكلة عدم معرفة الإله الحق بصفاته الحقة. وهذه المشكلة هي التي ظل القرآن المكي ينزل في علاجها ثلاثة عشر عاما.

فالقرآن المكي كان يفسر للإنسان بصفة عامة سر وجوده، ووجود هذا الكون من حوله، يبين له من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب في نهاية المطاف؟ ثم من أنشأ هذا الوجود المليء بالأسرار؟ من يديره؟ من يصوره؟ ثم كيف يتعامل العباد مع هذا الكون، وكيف يتعامل العباد مع العباد؟

وإذا أردنا أن نعرض نماذجا لعلاقة العباد وتعاملهم فيما بينهم مما عالجه القرآن المكي خاصة. فسنلاحظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بهذا الدين كان المجتمع العربي كأسوإ ما يكون المجتمع توزيعا للثروة والعدالة، فقد كانت القلة القليلة تملك المال والتجارة وتتعامل بالربا فتضاعف تجارتها ومالها. والكثرة الكثيرة لاتملك إلا الشظف والجوع. والذين يملكون الثروة يملكون معها الشرف والمكانة، وجماهير كثيرة ضائعة من المال والمجد جميعا. لكن الله سبحانه وتعالى جعل العدالة الاجتماعية تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل يرد الأمر كله لله.

ويقبل عن رضى وعن طواعية مايقضي به الله من عدالة التوزيع، ومن تكافل الجميع ويستقر معه في قلب الآخذ والمأخوذ منه انه ينفذ نظاما شرعه الله، فلا تمتلئ قلوب بالطمع، ولاتمتلئ قلوب بالحقد ولاتسير الأمور كلها بالسيف والمصاد وبالتخويف والإرهاب كما لاتفسد القلوب وتحتنق الأرواح كما هو حاصل في الأوضاع التي لاتقوم على "لاإله إلا الله محمد رسول الله".

والنموذج الثاني هو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث كان المستوى الأخلاقي في الدرك الأسفل في جوانب شتى منها: أن التظالم فاشيا في المجتمع، وكان الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية، ومن مفاخره كذلك، وكانت الدعارة في صور شتى من معالم هذا المجتمع.

ولكن لما تقررت العقيدة، ولما عرف الناس ربهم وعبدوه وحده وتقررت في القلوب (لاإله إلا الله) تطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته. وقام النظام الإسلامي يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده ويسميها راية الإسلام. وتطهرت النفوس والأخلاق، وزكت القلوب والأرواح وارتفعت البشرية في نظامها، وفي أخلاقها وفي حياتها كلها إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط، والتي لم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل الإسلام.

ولقد ثم هذا كله. أيها المومنون. لأن الذين أقاموا هذا الدين في صورة نظام وشرائع وأحكام، كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل في ضمائرهم وفي حياتهم، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك.

أيها المؤمنون: إن نظام هذا الدين يتناول الحياة كلها ، ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها، وينظم حياة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، في عالم الشهادة وعالم الغيب، في المعاملات الظاهرة وفي أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا. إن هذا الدين مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية، فالذين يريدون من الإسلام اليوم أن يصوغ نظريات وأن يصوغ تشريعات للحياة لا يدركون طبيعة هذا الدين ولاكيف يعمل في الحياة كما يريد الله له أن يعمل.

والمجتمع المسلم. أيها المؤمنون. ليس هو الذي يضم أناسا يبتدعون لأنفسهم إسلاما من عند أنفسهم غير ما قرره الله سبحانه وفصله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة، وشريعة ونظاما وخلقا وسلوكا.

وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون)(آل عمران/الآية:83).

الخطبة الثانية:

مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله نور السماوات والأرض يهدي لنوره من يشاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له جعل تكاليف الإيمان والعمل الصالح مساويا بين الرجال والنساء. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله أوصى على طاعة الله والبر بالأمهات قبل الآباء. اللهم صل وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه. واتقوا الله. عباد الله. يرضي عنكم رب الأرض والسماء أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون

يقول ربنا عز وجل في كتابه العزيز (الحجرات) (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

أيها المؤمنون: إنها لدلالة على أن الله تعالى خلق عباده مكونين لمجتمع إنساني متناسق الأطراف متماسك الأعضاء لايمكن له أن يتفكك وإلا بطلت الكينونة، وتوقفت الاستمرارية.

إنها شعوب وقبائل متعارفة متعاملة ومنشئة في آن واحد. فكان لابد من الذكر والأنثى لبناء هذا البرج العالي والكبير الضخم وتأكيدا لذلك يقول سبحانه وتعالى : (النحل:72) (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات...)

ومعناه أن الله تعالى في نظامه لخلق الإنسان خلق المرأة من جنس الرجل فهي ليست غريبة عنه، وأنه سبحانه جعل من المرأة البنين والحفدة من الرجال والنساء. وبذلك يكون الإسلام قد أبطل تلك النظرة الخاطئة في حق المرأة في الجاهلية حيث كانت تعد شبه رقيقة إن لم تكن رقيقة بالفعل. ولم يكن لها حق يعترف به فالمرأة قبل الإسلام لاحق لها أن تملك بل كانت تملك، تورث ولاترث، وتكره على الزواج أحبت أم كرهت.

فلما جاء الإسلام رفع من شأن المرأة، ورد إليها كرامتها، وأنزلها المنزلة اللائقة بها كإنسان له وظيفته في المجتمع بجانب الرجل لأن بناء الحياة الكبرى يقوم على الطرفين معا، وتأكيدا لهذه القاعدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داوود والترمذي وأحمد عن السيدة عائشة رضي الله عنها (إنما النساء شقائق الرجال) فالمرأة شقيقة للرجل في الأحكام ومساوية له في الطبيعة الإنسانية، فإن لها من الحقوق مثل ما له منها، كحق التملك، وحق الإرث، وحرية التعاقد والتصرف في المال بالبيع والشراء والهبة، ولها حق إختيار الزوج، ولاتكره على زواج ولو من طرف أبيها.

وإذا تصفحنا التاريخ. أيها الإخوة المؤمنون. سنجد أن المجتمع الإسلامي الأول كان حافلا بمساهمة المرأة مع الرجل بل ولم يكن هناك عمل إلا و كان للمرأة نصيب الإسهام فيه إلا في بعض الأعمال الخاصة اقتضتها طبيعة المرأة. فقد برزت شخصية المرأة لأنها شاركت الرجل في الجانب الروحي، والجانب الاجتماعي والجانب السياسي والحربي.

ففي الجانب الروحي كانت تشاركه (أي الرجل) في حضور المسجد لصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وقال عليه السلام (لاتمنعوا إماء الله مساجد الله) وكذلك في صلاة العيد وإن كانت حائضا إلا أنها كانت تحضر ولاتصلي.

وفي الجانب الاجتماعي: فكانت المرأة تدفع الزكاة والصدقة، وتعود المرضى وترعى حق جيرانها، وتتعلم وتعلم، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وثبت أن امرأة اعترضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد أن يحدد ثمن المهر فقالت امرأة: ياأمير المؤمنين أما سمعت الله تعالى يقول (...وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا .اتأخذونه بهتانا واثما مبينا)(النساء) فقال عمر رضي الله عنه أصابت امرأة واخطأ عمر.

وفي الجانب السياسي فقد نزلت آية الممتحنة الخاصة ببيعة النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:(يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولا يقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله. إن الله غفور رحيم)(الممتحنة 12).

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال على الإسلام والجهاد، بايع النساء على المقومات الكبرى للعقيدة، والحياة الاجتماعية في آن واحد. والتي تتجلى في عدم الشرك بالله إطلاقا صغيره وكبيره، وعدم اقتراف جرائم الحدود وعلى رأسها السرقة، والزنا، وقتل الأولاد وهو إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من واد البنات، كما أنه يشمل قتل الأجنة في البطون لسبب من الأسباب. والا يأتين ببهتان بكل ما يجمع من كذب وخديعة وخيانة، وشهادة الزور ومايتعلق بذلك أو يقرب إليه. أما البند الأخير في عقد البيعة فهو قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) وهو يشمل الوعد بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل من يأمرهن به، مع العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأمر الناس إلا بالمعروف، وهذا الشرط الأخير هو أحد قواعد الدستور الإسلامي الذي يقرر أن الاطاعة لمخلوق في معصية الخالق).

وهكذا أيها المؤمنون فإن الله سبحانه وتعالى بين. أن النهوض بهذه التبعات من طبيعة المجتمع الإسلامي وأن الرجل والمرأة فيهما سواء فقال سبحانه (و المومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله)(التوبة).

هيئة التحكيم المستقلة لتعويض ضحايا الاختفاء القسري والاعتقال التعسفي

مسار تاريخي ولبنة كبرى في مسيرة الديمقراطية بالمغرب

إعداد : النقيب محمد مصطفى الريسوني
عضو المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان
وعضو هيئة التحكيم . وعضو هيئة الإنصاف والمصالحة

■ عرف المغرب منذ تأسيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان تطورا ملحوظا ومعترفا به من طرف جميع مناضلي حقوق الإنسان داخليا وخارجيا ، وهو تطورا ما كان ليحصل لولا العمل المشكور والمجهود المبذول من طرف الفآت الواعية بثقافة حقوق الإنسان بالمغرب والمناضلة من أجل المساواة والكرامة والمواطنة الحقة.

وإن المتتبع للآراء الاستشارية التي كان يرفعها المجلس الاستشاري إلى جلالة الملك منذ اجتماعه الأول والذي خصصه لطرق دراسة تقرير منظمة العفو الدولية عن حقوق الإنسان بالمغرب ، أقول إن المتتبع لهذه الآراء سيجد أن المجلس عمل وبطريقة توافقية وهادئة على تطوير منظور حقوق الإنسان بالمغرب وعلى حماية مكتسباته في هذا المجال.

وهكذا وابتداء من إدخال تعديلات هامة على قانون المسطرة الجنائية والقوانين المرتبطة بها، ومرورا بالمصادقة على بعض المواثيق والعهود والاتفاقيات الدولية ذات الأهمية البالغة في مجال مناهضة التعذيب واحترام حقوق الطفل، واقتراح إصدار العفو الشامل سنة 1994 وعفو جزئي سنة 1998 وكذا إحداث لجنة وزارية للتنسيق وملاءمة القوانين المغربية مع المواثيق الدولية إلى تقرير تدريس مادة حقوق الإنسان بالمعهد الوطني للدراسات القضائية ومدرسة استكمال الأطر، والمعهد الملكي للشرطة، ومدارس قيادة الدرك الملكي والمدرسة العليا للتطبيق التابعة للدرك الملكي.

وقد تم تتويج هذه الأعمال منذ سنة 1992 بالنص في ديباجة الدستور على التزام المغرب باحترام حقوق الإنسان كما هي متعارف عليها عالميا.

وخلال هذه المسيرة الحقوقية الثرية بالانجازات كان أهم ما اعترض سبيل مناضلي حقوق الإنسان بالمغرب ملف شائك يعرف بملف الاختفاء القسري، وأود في هذا العرض أن أقدم خلاصة لطريقة تعامل المجلس الاستشاري مع هذا الملف من إجراءات البحث إلى تأسيس هيئة التحكيم.

1 . تحديات ملف الاختفاء القسري بالمغرب

إن ملف الاختفاء القسري بالمغرب ، حمل بين طياته صعوبات جمة يعود البعض منها إلى طبيعة الملف من أساسه ، والبعض الآخر إلى تنوع هذا الاختفاء واختلاف طرقه ومصادرة ، والبعض الآخر إلى كون الملف من حيث هو لصيقا بمجال حقوق الإنسان التي تعرضت لكثير من الانتهاكات على مدى أعوام وعقود.

ولنعمل في عجالة على حصر هذه التحديات في الأهم منها ، حتى لا نغوص في جزئيات قد لا تفيد في الموضوع .

فملف الاختفاء القسري يعود بنا إلى فترات حالكة من تاريخ المغرب بعد الاستقلال ، وبالضبط إلى نزاعات قامت بين نفس الأشخاص الذين قاوموا الاستعمار ثم تجاذبوا العداوة فيما بينهم وهي فترة تمتد إلى سنة 1962.

ويمكن القول أن اختطافات بالجملة واعتقالات مشبوهة قد تمت خلال هذه الفترة ويصعب تحديد فاعليها أو القائمين بها أو الذين أمروا بها.

وتضم لوائح المختطفين كثيرا من الأشخاص الذين ذهبوا ضحية الحزازات السياسية في ذلك التاريخ.

وملف الاختفاء القسري يضم لوائح متعددة من مختلف المنظمات والجمعيات المهتمة بحقوق الإنسان ، وهي في جملتها متشابهة وتضم أسماء مختلفة لشخص واحد .

وملف الاختفاء القسري يضم لوائح أشخاص ماتوا وهم يحاربون لفائدة جبهة البوليساريو في حرب الصحراء المغربية التي ذهب ضحيتها شهداء من الوطن من أجل الوحدة والتحرير وتأتي أسماء هؤلاء الصحراويين المختفين مختلطة دائما في لوائح منظمة العفو الدولية وبعض المنظمات الدولية الأخرى ، كالمنظمة الأمريكية لحقوق الإنسان ، وهي في الغالب أسماء متشابهة، ويغلب عليها أنها ذهبت أثناء حرب الرمال بين سنة 1976 . 1982.

وملف الاختفاء يضم في كثير من جوانبه أسماء أشخاص اختفوا لأسباب لا علاقة لها بموضوع الاختفاء القسري بل هي أسباب شخصية أو دواعي ناتجة عن الهجرة السرية أو غير ذلك من الأسباب التي لاحاجة إلى تعدادها.

وقد كان على المجلس الاستشاري وهو يدقق في هذه الحالات أن يجمعها جميعها في لوائح متعددة ثم يبدأ عملية الفرز التي طالت بقدر ماكان يتوصل به من لوائح جديدة من المنظمات المعنية وعلى رأسها بالخصوص جمعية هيآت المحامين بالمغرب والجمعية المغربية لحقوق الإنسان، والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان ، والعصبة المغربية لحقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية.

وقد اعتمد المجلس الاستشاري في فحص هذه اللوائح على المقتضيات الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948 وعلى اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة(1975 وبالخصوص على الإعلان المتعلق بحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري (1992) والذي ورد في مقدمته :

" إن الاختفاء القسري يقوض أعمق القيم رسوخا في أي مجتمع ملتزم باحترام سيادة القانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية ، وإن ممارسة هذه الأشغال على نحو منتظم يعتبر بمثابة جريمة ضد الإنسانية.

وقد كان على المجلس أن يكون لجنا سواء على مستوى الخلية الدائمة بالمجلس المنبثقة عن اجتماعه السادس، أو على مستوى جمعه العام الذي خلص إلى تكوين لجنة عشارية مؤلفة من عشرة أعضاء انتدبت للعمل لمدة تزيد على التسعة أشهر لجنة ثلاثية تحت إشرافها ، وأخيرا تم الإعلان عن لائحة أولية بأسماء المختفين .

إن صعوبة البحث في الموضوع ترجع في أساس آخر إلى قدم تاريخ بعض الاختفاءات وإلى ارتباط البعض الأخر بأحداث يصعب معها ضبط طرق وكيفية الاختفاء ، وأخيرا إلى تعدد أسماء الأشخاص ، إذ يذكر الشخص تارة بلقبه وأخرى بكنيته وأخرى بما أصطلح النداء عليه به.

وقد قدم المجلس الاستشاري تقارير إلى جلالة الملك في شكل آراء استشارية انبثقت عن اجتماعه الثاني عشر الممتد من 20 ابريل 1998 إلى 28 شتنبر 1998، ثم إلى 13 اكتوبر 1998وكذا في اجتماعه الثالث عشر الممتد من 2 ابريل 1999إلى 2 يوليوز 1999وكل هذه الآراء تضمنت حصرا للوائح المختفين وطرق دراستها واقتراح الهيئة التحكيمية وكيفية تكوينها وطريقة عملها.

وتجدر الإشارة إلى أنه بتاريخ 16 غشت 1999 صدر الأمر الملكي السامي بتأسيس هيئة التحكيم المستقلة للتعويض المترتب عن الضررين المادي والمعنوي لضحايا وأصحاب الحقوق ممن تعرضوا للاختفاء والاعتقال التعسفي.

وقد تم تكوين هذه الهيئة من تسعة أعضاء، أربعة من أعضاء المجلس الاستشاري وثلاثة من كبار قضاة المملكة وممثل عن وزارة الداخلية وممثل عن وزارة العدل ، وابتدأت في أعمالها منذ فاتح شتنبر 1999.

ولعل أهل نقاش أثاره المهتمون هو شرعية هيئة التحكيم بين معترف بشرعيتها ومناد بعدم قانونيتها.

2 . شرعية هيئة التحكيم:

إن اقتراح احداث هيئة تحكيميه لتحديد وتقدير التعويض المستحق لضحايا الاختفاء القسري، والاعتقال التعسفي ، يجد أسسه في قواعد قانونية دولية وأخرى وطنية.

لقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على وجوب تعزيز الاحترام العالمي لحقوق الإنسان والحريات الأساسية والتقيد بها، ومن جملة ماجاء به: الحق في المحاكمة العادلة والتقيد بضوابط قانونية عند اقدام االسلطة على اعتقال أي مشتبه فيه (المواد من 8 إلى 12 من الإعلان العالمي).

ونصت المادة 19 من الإعلان المتعلق بحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري على وجوب تعويض الأشخاص الذين وقعوا ضحية اختفاء قسري وأسرهم.

وانطلاقا من مقتضيات الدستور المغربي الصادر سنة 1992 والمعدل سنة 1996، وخاصة الفصل التاسع عشر منه الذي ينص أن جلالة الملك هو الذي يصون حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات فإن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان جاء تطبيقا لهذه المقتضيات.

وتطبيقا لمقتضيات ظهير 20 ابريل 1990 المتعلق بالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان فإن الآراء الاستشارية التي يوافق عليها جلالة الملك تعتبر نافذة المفعول.

وبناء عليه جاء الأمر الملكي السامي الصادر في 16 غشت 1999 بالموافقة على الرأي الاستشاري الذي تبناه المجلس بالإجماع في اجتماعه الثالث عشر المؤرخ في 1999/07/02 والقاضي بإحداث هيئة التحكيم.

وبناء عليه تكون شرعية هذه الهيئة ممتدة من قواعد الدستور المغربي ومن

←

الظهير المحدث للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان.

ويتضح من البيان الصادر عن لجنة التنسيق والمتابعة بالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان بتاريخ 1999/09/15أن النظام الداخلي لهيئة التحكيم قد اعتمد عدة مبادئ من أهمها اعتماد مبادئ العدل والإنصاف مرجعية للبت في الطلبات المعروضة عليها، وضمان حقوق الدفاع ، وضمان إجراء التحقيق وكذا حق كل طالب في الاستماع إليه وإلى محاميه أو وكيله وكذا على استقلالية الهيئة وعلى نفاذ أحكامها ، وعلى وجوب رضا الشخص باللجوء إليها.

وهنا يكمن مربط الفرس ، فاللجوء إلى هيئة التحكيم أمر اختياري ، غير أنه ملزم في حالة رضا الشخص بذلك تطبيقا لقواعد التحكيم المعروفة والمنصوص عليها في قانون المسطرة المدنية (الفصول 306 إلى 327 من ق.م.م.) وبطبيعة الحال فإنه يجب مراعاة الصبغة الخاصة لهذه الهيئة التحكيمية.

3. الطبيعة الخاصة لهيئة التحكيم:

تعتبر هيئة التحكيم ذات طبيعة خاصة فهي:

أ . هيئة مؤسسة بأمر ملكي بناء على أمر ملكي سام بمقتضى الفصل 19 من الدستور.

ب . وهي هيئة فوضت لها الدولة موضوع تقدير التعويض لمستحقيه ، أي أن هناك اعترافا مسبقا من الدولة بوجود خطأ من جانبها أحدث ضررا للغير يستوجب التعويض.

ج . وهي هيئة للتحكيم مكونة من تسعة أعضاء خلافا لما هو معهود في التحكيم من تكوين هيئة من عضوين او ثلاثة على أكثر تقدير.

د . وهي هيئة أعدت نظامها الداخلي وصادقت عليه لجنة التنسيق والمتابعة بالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان.

هـ . وأخيرا هي هيئة تعتمد قواعد العدل والإنصاف، أي قواعد تعتبر أكثر اتساعا من القواعد القانونية في تقدير التعويض من جهة وفي إثبات الواقعة الملزمة للتعويض من جهة أخرى.

4. قواعد الترافع أمام هيئة التحكيم:

بتاريخ 14شتنبر 1999 صادقت لجنة التنسيق والمتابعة بالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان على مشروع النظام الداخلي لهيئة التحكيم.

ويتضمن هذا النظام القواعد المنظمة لرفع الطلب أمام الهيئة وكذا المسطرة المتبعة أمامها . ويمكن إجمال هذه القواعد فيما يلي:

. مجانية الإجراءات.

. اعتبار متم دجنبر 1999 كآخر اجل لتقديم الطلبات.

. تقديم طلب الحصول على التعويض كتابة.

. إرفاق الطلب بإشهاد يرتضي صاحبه بمقتضاه اللجوء إلى هيئة التحكيم والقبول بمقرراتها (أي نهائية مقررات الهيئة).

. حق استعانة الطالب بمحام أو بأحد أقاربه .

. إجراء التحقيق بواسطة هيئة مكونة من ثلاثة أعضاء .

. إحالة الملفات على الجلسات بمعرفة رئيس الهيئة.

انعقاد الجلسات بكامل الأعضاء أو بسبعة على الأقل.

. استدعاء طالب التعويض ومن يؤازره أو يستعين به.

. سرية جلسات هيئة التحكيم.

. اعتماد قواعد العدل والإنصاف عند النظر في طلبات الضحايا أو أصحاب الحقوق.

. إمكانية منح تعويض مسبق.

. اتخاذ القرارات بالتراضي.

. نهائية مقررات الهيئة وعدم قابليتها لأي طعن.

. نفاذ هذه المقررات.

. تبليغ المقررات إلى السيد رئيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ، والمعنى بالأمر.

. اجتماعات الهيئة أسبوعية ، وكذا جلساتها البتية.

. تعليل القرارات في حالة الرفض.

. إمكانية تعديل النظام الداخلي باقتراح من رئيس المجلس أو هيئة التحكيم نفسها.

لقد تم تسجيل حوالي خمسة آلاف طلب منذ بداية عمل الهيئة إلى آخر يوم كامل من الأجل المحدد في نهاية دجنبر 1999 والذي امتد إلى يوم 3 يناير 2000 باعتبار الأجل الكامل طبق قواعد قانون المسطرة المدنية.

وتضم لوائح هذه الطلبات بحسب الأحداث الهامة

التي عاشها المغرب قضايا تهم الأحداث التالية حسب التفصيل التالي:

أولا : الحالات المعلن عنها من طرف المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان وعددها 148 حالة:

1. لائحة 112.
2. مجموعة بنوهاشم وعدد أفرادها 5.
3. مجموعة تازمامارت المفرج عنهم وعددهم 31.

ثانيا : الملفات التي تقدم أصحابها بطلباتهم مباشرة إلى هيئة التحكيم وعددها: 4942.

1. مجموعة قلعة مكونة والعيون وأكدز وعدد أفرادها 378، توفي منهم أثناء الاعتقال 55 شخصا ، وأفرج عن الباقي وعددهم 323.
2. مجموعة أخرى من الأقاليم الجنوبية وعدد أفرادها 505.
3. طلبات تتعلق بأحداث مختلفة وعددها 4059.

أما بالنسبة للأحداث ، فبعد الدراسة الأولية للطلبات تبين أنها في مجموعها تتعلق بالأحداث التالية:

1. أحداث سنة :1956
2. أحداث سنة 1960.
3. أحداث سنة 1963.
4. مجموعة 192. مراكش. 1969.
5. محاكمة مراكش 1970.
6. أحداث الصخيرات سنة 1971 .
7. محاكمة قلعة السراغنة 1972.
8. أحداث غشت . الطائرة - سنة 1972
9. أحداث أحفير سنة 1972.
10. أحداث مولاي بوعزة. خنيفرة. الدار البيضاء سنة 1973.
11. أحداث بني ملال ضيعة مولاي عبد الله.
12. مجموعة عمر بن جلون 1975.
13. مجموعة 71. إسلاميين.
14. مجموعة 1975.105.
15. اختطاف من طرف البوليساريو ابتداء من نهاية سنة 1975.
16. أحداث الإضرابات. البيضاء سنة 1981.
17. أحداث إضرابات سنة 1984.
18. مجموعة 26. سنة 1985.
19. أحداث دجنبر سنة 1990.
20. انتخابات . سيدي بطاش سنة 1997.
21. أحداث مدينة العيون سنة 1999.
22. فوس بوكراع
23. اعتقالات أيام الحماية الفرنسية.
24. اعتقالات بمخيمات تيندوف والجزائر.

أما مطالب المعنيين بالأمر فتتمثل أساسا في :

. التعويض عن الأضرار المادية والمعنوية.

. الرجوع إلى العمل.

. الاستفادة من راتب التقاعد.

. الاستفادة من التغطية الصحية والاجتماعية.

. الحصول على السكن.

. إرجاع المنقولات والمواشي وبعض العقارات.

. تسليم رفاة المتوفين.

. تسليم شهادات الوفاة للمتوفين أثناء الاعتقال.

. توظيف الأبناء.

. الترقية الإدارية.

. الحصول على جوازات السفر.

الكشف عن مصير بعض المختفين.

. رد الاعتبار.

. مساءلة المسؤولين عن هذا الاعتقال.

أسباب طلب التعويض :

من خلال تصفح الطلبات التي تقدم بها المعنيون بالأمر يتضح أن أسباب طلب التعويض تعود إلى :

. اعتقالات واضطهاد وإيداع بأماكن سرية أعقبها إفراج دون محاكمة.

. اعتقالات واختطافات وإيداع بأماكن سرية أعقبتها محاكمات.

. اعتقالات لمدد معينة بسجون نظامية معينة انتهت بأحكام بالبراءة .

. اعتقالات بسجون نظامية موضوع أحكام بالإدانة ، وقضى أصحابها بها كل المدد المحكوم بها.

. اعتقالات لمدد معينة بسجون نظامية كانت موضوع أحكام بالإدانة ، وأفرج على المعنيين بها بالعفو.

. فقدان الأقارب في أحداث أليمة.

. اعتقالات ومحاكمات من أجل أفعال يقول أصحابها أنها كانت تغليفا للاعتقال من أجل ممارسة النشاط السياسي أو النقابي.

. اختفاء واعتقال في قلعة مكونة وغيرها بسبب ممارسة المعنيين بها أنشطة بالأقاليم الجنوبية ، وقد أفرج عن أصحابها بالعفو دون محاكمة.

. الاغتراب الاضطراري.

. فقدان أشخاص أو وفيات تمت في السنوات الأولى من الاستقلال لاعتبارات سياسية.

والجدير بالذكر أن الهيئة قد استمعت في لقاءات مفيدة مع كل من أعضاء مكتب المنظمة المغربية لحقوق الإنسان ، وأعضاء مكتب منتدى الحقيقة والإنصاف، وشخصيات قانونية وحقوقية ، ومناضلين في مجال حقوق الإنسان.

واستمعت إلى حوالي ثمانية آلاف (8000) شخص في مائة وستة وتسعين (196) جلسة عامة وأزيد من أربعمائة (400) جلسة تحقيق، وانهت عملها يوم 2003/07/10 .

وهكذا أصدرت الهيئة:

3681 مقررا بأداء التعويض النهائي ، بلغ في مجموعه تسعمائة وستين مليون (960.000.000) درهم.

. 889 مقررا برفض الطلب.

. 133 مقررا بصرف النظر.

وقد رفعت الهيئة تقريرها النهائي لجلالة الملك محمد السادس يوم 7 يناير 2004 الذي تفضل باستقبال جميع أعضائها وأنعم عليهم حفظه الله بوسام المكافأة الوطنية من درجة ضابط.

حكم استثمار أموال الزكاة ومقاصده وتطبيقاته

■ إعداد الأستاذ: محمد الحفظاوي

الحلقة الثانية

ثانيا : أحكام استثمار أموال الزكاة في الفقه الإسلامي:

1 . حكم استثمار أموال الزكاة في المذاهب الفقهية.

يبدو أن الفقهاء القدامى لم يتعرضوا لقضية استثمار أموال الزكاة كما هي مثارة في الوقت المعاصر في حجمها الجماعي والمؤسساتي ، وذلك بسبب تقييدهم تدبير شأن الزكاة بضوابط تمنع من التصرف في المال باستثمار، كالفورية والتمليك ، ثم لعدم التنصيص في مصادر التشريع صراحة على موضوع استثمار أموال الزكاة ، باستثناء الشافعية الذين تحدثوا عن جوانب ذات صلة بالموضوع في صورة فردي لاجماعي ، وذلك في سياق كلامهم عن القدر المصروف إلى الفقير والمسكين، واتخذ هذا الرأي الفقهي القديم مستندا للقول بجواز استثمار أموال الزكاة في الوقت المعاصر لدى طائفة من الفقهاء المعاصرين واستندوا على أدلة نقلية وعقلية ، في حين ذهبت طائفة أخرى إلى عدم تجويز هذا السلوك الإقتصادي ولكل فريق أدلته وحججه ، فأهم أدلة المانعين هو ضابط الفورية.

مسألةالفورية : ذهب جمهور الفقهاء إلى فورية أداء الزكاة ومنعوا تأخيرها سوى رواية عند الأحناف ، فالزكاة واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها، قال المقري في قواعده في القاعدة الرابعة والخمسين بعد المائتين : قاعدة حقوق العباد على الفور لاحتياجهم إليها ومنها الزكاة عند مالك ومحمد ، خلافا للنعمان.

وقال الباجي :" وصفة إعطاء الصدقة أن يخرجها المتصدق من يده ولا يحسبها وقد ذهب المانعون من الفقهاء المعاصرين إلى اعتماد رأي الجمهور ، وهذا الدليل من أهم أدلة المانعين ، أما المجيزون فبنوا على القول بعدم وجوب الفور في أداء الزكاة عند المذهب الحنفي لتبرير قولهم بجواز الاستثمار ، كما استندوا إلى قول الشافعية باستثمار مال الزكاة للفقراء والمساكين كما هو آت.

ب . اتجاه الشافعية : اختلفت المذاهب الفقهية في مقدار ما يعطي الفقير والمسكين من الزكاة بحسب إدراكهم لمقتضى الكفاية ، هل هي محدودة بزمن ما أو بقدر ما؟ أم أنها غير محدودة ولا مقدرة؟ فصار الخلاف في اتجاهين رئيسيين :

. اتجاه يقول بإعطائهما مقدار محددا من المال وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه فقد قال بعدم جواز الزيادة على مائتي درهم : أي نصاب النقود.

. واتجاه يقول بالإنفاق على مقتضى الكفاية بلا تحديد، ويمثل هذا الاتجاه فريقان:

الأول يقول بأن العطاء راجع لنظر الإمام ، ومنهم من حدد أمره بالسنة ، وهؤلاء هم المالكية، والحنابلة القائلين : أن الأمر متعلق بما تندفع به الحاجة.

وأما الفريق الثاني فيمثله الشافعية القائلين بإعطاء المستحق ما يستأصل شافة فقره ، ويكفيه بصفة دائمة بحيث لا يفتقر إلى عطاء الصدقة مرة أخرى ، بل ذهب النووي والغزالي إلى تمكين المستحق من وسائل الإنتاج وأدوات الاستثمار كالتجارة والصناعة والفلاحة. فهذا الاتجاه يرتكز على مقصد الإغناء بغير تحديد بالنصاب أو بالعام كوحدة زمنية لكفاية الحاجة فيها، وهذا نفسه منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهكذا فإن رأي الخليفة عمر بن الخطاب والشافعية في دورالزكاة اقتصاديا واجتماعيا هو ما يتوافق مع المذهبية الاقتصادية الإسلامية التي تجعل من العمل المصدر الطبيعي والأول للرزق.

2 . حكم استثمار أموال الزكاة في الفقه المعاصر:

اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم استثمار أموال الزكاة بين مانع ومجيز انطلاقا من أدلة وحجج نقلية وعقلية.

أ. اتجاه المانعين وأدلتهم : ذهبت طائفة من الفقهاء والباحثين المعاصرين إلى عدم جواز استثمار أموال الزكاة بناء على الأدلة الآتية:

. في استثمار أموال الزكاة مخالفة لأصل فورية وجوب الزكاة.

. عدم وجود دليل شرعي في الموضوع يصلح للاستناد إليه.

. مخالفة شرط التمليك الفردي للمستحقين.

. الحاجة إلى إذن المستحقين.

. عرضة مال الزكاة للضياع بسبب الاستثمار .

هذه هي أهم أدلة المانعين لاستثمار أموال الزكاة ، فما هي أدلة المجيزين؟

ب. اتجاه المجيزين وأدلتهم : ذهب الكثير من العلماء والباحثون المعاصرون إلى القول بجواز استثمار أموال الزكاة في مشاريع يعود ريعها على المستحقين ، وممن ذهب إلى هذا القول الأستاذ مصطفى الزرقا ، والدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمد الحبيب التجكاني ، والدكتور وهبة الزحيلي وغيرهم.

وجماع أدلتهم فيما يلي:

عدم التنصيص على كيفية صرف مال الزكاة للمستحقين في نصوص الزكاة.

. المصلحة وقاعدة " التصرف على الرعية منوط بالمصلحة".

. المقاصد وكليات الشريعة.

. القياس .

. فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وعمل الصحابة رضي الله عنهم هذه هي أهم أدلة المجيزين لاستثمار أموال الزكاة ، فما هو الرأي المختار؟

3. المناقشة والترجيح والرأي المختار.

بعد مناقشة أدلة الفريقين ، خلصت إلى القول المختار عندي وهو القول بجواز استثمار أموال الزكاة ، فالقول بجواز استثمار أموال هو الأرجح فيما يبدو للاعتبارات الآتية:

1. أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كانوا يستثمرون أموال زكاة الصدقات من إبل وبقر وغنم عن طريق حفظها في أماكن خاصة للرعي والدر والنسل.

2. الاستئناس بالنصوص التي تحث على استثمار المال كمقصد شرعي في تدبير المال والمحافظة عليه وتثميره ، ومنها الحث على استثمار أموال اليتامى بالاتجار فيها.

3. الرجوع إلى مقاصد الشارع في تشريعه ، ومن مقاصده في الزكاة الإغناء والتشغيل.

4. النصوص الدالة على جواز استثمار مال الغير بغير إذنه ، كما هو واضح في حديث النفر الثلاثة وحديث عروة البارقي.

ضوابط استثمار أموال الزكاة: إن القول بجواز استثمار أموال الزكاة ليس على إطلاقه بل هو مقيد بشروط وضوابط هي:

. أن لا تتوافر وجوه صرف عاجلة تقتضي التوزيع الفوري لأموال الزكاة.

. أن يتحقق من استثمار أموال الزكاة مصلحة حقيقية راجحة لمستحقين.

. أن تكون مجالات الاستثمار مشروعة.

. أن يسبق قرار الاستثمار دراسات دقيقة من أهل الخبرة.

. أن يستند قرار الاستثمار إلى ذوي الكفاءة والخبرة والأمانة.

. أن يعتمد قرار الاستثمار ممن له ولاية عامة كالإمام والقاضي أو أهل الحل والعقد.

وبهذه الضوابط يمكن تطبيق العملية الاستثمارية للزكاة ، وللتطبيق صور كثيرة.

تطبيقات استثمار أموال الزكاة : عرف هذا الحكم تطبيقات متعددة أهمها:

. حفظ ماشية الزكاة للنماء والتوالد والدر.

. توفير وسائل الإنتاج للأسر وتحويلها من عائلات مستهلكة إلى عائلات منتجة كما في تجربة صندوق الزكاة اللبناني.

. الاستثمار بأسلوب المرابحة كما فعلت جمعية الإصلاح الإجتماعي بالكويت.

خاتمة

وأخيرا فإن الصرف الاستثماري لأموال الزكاة يحقق من جهة وجود دخل دائم يزيد من ثروة الأمة والشعب ، ويساهم من جهة ثانية في التشغيل والتنمية الشاملة.

وقد جاء اختيار موضوع هذا البحث انطلاقا من تلك القناعة ولأجل تحقيق أغراض منها:

. محاولة مقاربة الحكم الفقهي لهذه المسألة من خلال النظر في مقاصد الزكاة ومن خلال النظر في مواقف الفقهاء واجتهاداتهم قديما وحديثا.

. المساهمة في إثارة مثل هذه القضايا المستجدة ولفت الانتباه إلى ضرورة البحث فيها نظرا لبعدها الاجتماعي التنموي ، ولبيان عظمة الشريعة الإسلامية وتلبيتها لحقوق وحاجات وتطلعات الناس ومراعاة مصالحهم.

. ملامسة المواضيع ذات الصلة بواقع حياة الناس وحاجاتهم في " الوجود ينفعل بالجود" ولابد لخدمة القيم والمبادئ والرسالة عموما من مراعاة مطالب الناس واحتياجاتهم لإصابة الحكمة وتنزيل الحكم الشرعي بمقصده، إذ لا يسلك إلى أذن الجائع إلى صوت يبشر بالخبز.

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

مصطلح "السامية" كيف تم تحريفه؟

■ الصهاينة في عدوانهم على الشعب الفلسطيني يتدثرون دائما برداء " معادة السامية" وبشعارهم هذا ابتزوا عدة دول باعتبارها معادية لهم ، فاضطرت إلى إسكات دعواهم بمنحهم مبالغ طائلة من الأموال، وقالوا إن هتلر حاكم ألمانيا أحرق الملايين منهم داخل غرف الغاز ، وأشاعوا كثيرا من الأخبار والوقائع عن ما نزل بهم من ظلم وعذاب من أجل الحصول على المال وهاهم ينسون اليوم أو يتناسون ما يفعلونه بالعجزة والنساء والأطفال وما يفسدونه ويجرفونه من أشجار الزيتون المغروسة منذ عشرات السنين وهي القوت والغذاء للفلاح الفلسطيني،

وهكذا يضعون شعار السامية مبدأ لهم في معاملاتهم مع شعوب العالم، وتعود هذه الكلمة في أصلها اللغوي إلى سام أحد أبناء نوح عليه السلام باعتبار أن كلمة السامية تحدرت من الأصل السامي ، والأب السامي وهو سام بن نوح".

ولقد اعتمد " سفر التكوين" التوراتي على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية، والظاهر أن العابثين والمحرفين لكتاب " التوراة" عمدوا إلى اختلاق واختراق الفكر الإنساني ، فكرسوا لحاجة في نفوسهم. مفهوم السامية لخدمة مصالحهم ، وأطلقوا هذا المفهوم على مجموعة من الشعوب دون غيرها لاعتبارات تجاوزت وشائج القربى وصلات الرحم ولحمة النسب والدم.

والمعروف ان التوراة كتبت بعد وفاة موسى عليه السلام حوالي القرن 1500 قبل الميلاد ببضعة قرون ، ودونت في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد ، الشي الذي جعلها عرضة للعبث والتحريف، وقد تنبه العلماء والمؤرخون إلى ما في سفر التكوين من تزييف وتسييس لمفهوم السامية ، ثم لا أحد ينكر أن بني إسرائيل من الأسباط ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام لكن هذا التاريخ . القديم منه والحديث. حدثت فيه تحولات كبرى ومتغيرات لم تجعل الأعراف نقية ولا الأصول صافية ولا الأجناس البشرية خالصة في عروقها ودماءها كما كانت منذ العهود القديمة وخلال الزمن البعيد الممتد لبضعة آلاف سنة ظهرت أجيال وسلالات متباينة اختلطت فيها دماء الساميين بغير الساميين وبالنسبة للغات السامية ، وبينها اللغة العبرية التي لم تعد خالصة نقية من شوائب الدخيل كما كانت عليه في عهدها القديم وجاء مصطلح " السامية" ليضم مجموعة اللغات التي تنتمي إلى تلك الشعوب ولا ننكر أن اللغة العبرية القديمة ، وهي لغة التوراة هي إحدى اللغات السامية التي انفصلت عن الأصل السامي حالها في ذلك حال غيرها من اللغات السامية من حيث الانتماء فقط إلى اورومة واحدة وأصل لغوي واحد قديم هو الأصل السامي.

وعن اللغة العبرية الحديثة فإن كثيرا من العلماء والمؤرخين الباحثين يعدونها من اللغات المصنوعة أي التي صنعت صناعة ، فهي تستعير شكلها وحروفها ومفرداتها من لغات شتى ومصطلحات ومسميات يسد بها ما في اللغة القديمة من نقص وعجز وقصور، بل إن أحد العلماء العرب قال في هذا المجال : لولا العربية ما عرفت العبرية.

قضايا مطروحة عند خطباء الجمعة

الحلقة الثانية

■ إعداد الاستاذ: محمد حسني

■ ويتضح أن مايرمي إليه هؤلاء الذين يعتبرون قراءة القرآن جماعة بدعة ويبسملون ويتعوذون في بداية كل صلاة، ويفرطون في الدعاء دبر كل صلاة ويبدعون الدعاء للأموات ذلك أن أفكارهم كما يقول الفقهاء مبنية على سوء فهم الشريعة الإسلامية، ويرون أن أهم علاج هو إقناعهم بالتي هي أحسن عملا بقوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

بعد هذا تناول الفقهاء قضايا أخرى تطرح عند خطباء الجمعة تناولوا فيها: الخطيب/والخطبة/ والأذان/والمصلون.

/ . مايتحمله الخطيب:

من هذه القضايا ذات المسؤولية التي يتحملها الخطيب، والذي يعتبر قدوة المصلين، وإمامهم، وطبيبهم في إصلاح أحوالهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو يعرف الداءويبحث لهم عن الدواء.

1. يشترط الفقهاء على الخطيب أن يبكر إلى الجمعة حفاظا على الوقت، فغالبا مايتخلف بعض الأئمة، عن الوقت المعروف، فيظل الناس ينتظرون أو يصعد على المنبر أحد الأشخاص غيره من ضعيفي المستوى، فيحدثون البلبلة لعدم رضا الناس عنهم ويتحمل كل ذلك الإمام المخل بواجبه والأمانة الملقاة على عاتقه.

2. أن يهتم بهندامه عملا بقوله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد)، مع الحفاظ على التقاليد كلبس البياض، مع استعمال السلهام والجلباب، وتغطية الرأس عملا بما سار عليه سلف هذه الأمة ويعتبر من فقه ماجرى به العمل في المغرب.

3. أن يتحلى بالوقار والسكينة والاحترام وتقدير الجميع له. وهذا يتعلق بسلوكه الدائم مع غيره من الناس.

4. يرى فقهاء المالكية أن على الإمام قبل أن يصعد المنبر أن يبادر الناس بالسلام بصيغة "السلام عليكم" يندب للإمام أن يسلم على الناس حال خروجه إلى الخطبة لما روى جابر عن النبي قال: (كان إذا صعد المنبر سلم).

//. من شروط الخطبتين:

1. أن يعتمد الخطيب في حال الخطبتين على عصا أو نحوها.

2. أن تكون الخطبتان جامعة مانعة ومختصرة وأن تكون الثانية أقصر من الأولى لما روي عن عمار رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا).

3. أن تكون الخطبة مختصرة ومكتوبة حتى يتفادى الخطيب الدخول والخروج في مواضع متعددة وأن تكون الخطبة مضبوطة وهادفة ومنسقة ومنظمة وممنهجة.

4. أن يتجنب الارتجال الممل والتطويل المخل، وغالبا مايرتجل بعض الأئمة، فلايحصرون الموضوع وإنما يهيمون في التطويل، والتسيب.

5. أن تكون الخطبة ذات موضوع واحد.

6. أن يتجنب الخطيب فيها الخلافات المذهبية أو السياسية أو ذكر أفراد بأسمائهم أو الثناء عليهم أو تجريحهم.

7. لايذكر أحد في الخطبة ولايلمح إليه أو يشار إليه. إلا ذكر جلالة الملك باسمه وولي عهده والدعاء لهما وسائر الأسرة الملكية الشريفة بالنصر والتأييد وللمسلمين والمسلمات (وتطبيق المذكرات الواردة عليه).

8. أن يتجنب التجريح ومس أعراض الناس، وأن لايسمي الناس بمسمياتهم، ويعمل بما كان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (مابال أقوام).

9. أن يكتفي الخطيب بالتسليمة الواحدة بعد الصلاة حفاظاعلى الوحدة وراء المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وفق ماجرى به العمل في المغرب وكذا المحافظة على الباقيات الصالحات قبل الدعاء للمسلمين والمسلمات والمحبسين والشيوخ، ولصاحب الجلالة وولي عهده المولى الحسن وسائر أفراد أسرته الشريفة.

10. أن يعتمد الخطيب مراجع المذهب المالكي في تحضير الخطبة.

11. يتجنب الخطيب ذكر ماورد في الصحف حتى لايكون المسجد منبرا للوقائع والأحداث السياسية.

12. أن يكبر المأموم ويسمع وراء الإمام.

///. أما فيما مايخص الأذان:

. على المؤذن أن يؤذن ثلاث أذان بالصيغة المغربية المعروفة كما كان أيام عثمان بن عفان الذي أضاف الأذان الثالث وهو من الخلفاء الراشدين الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم : ".... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد".

. أن يحسن المؤذن ألفاظ الأذان.

٧/ . أما عن المصلين

1. فلا تجوز الصلاة والإمام على المنبر، والقاعدة أن خروج الخطيب يحرم الصلاة، وكلامه يحرم الكلام "وأن يقطع النافلة إذا بداها".

2. تربية المصلين على ذكر الباقيات الصالحات والتأمين مع الإمام في الدعاء.

3. أن لايتخطوا رقاب الناس.

4. وأن يتجنبوا اللغو والإمام على المنبر.

إن الجمعة بصفة عامة سلوك يجسم الأخلاق النبوية الشريفة التي على المصلين أن يتحلوا بها، وإنها يوم المزيد، ويوم فيه ساعة الاستجابة وهو عيد للمسلمين، تتطهر فيه القلوب، وتكفر فيه السيئات. فضلها كثير وخيرها عميم، حيث يفيض الله على الجميع من بركات السماء.

التفسير الإجمالي لسور القرآن الكريم

السورة الأولى: "سورة الفاتحة"

■ انجاز: محمد المهدي بوزيد

■ سورة الفاتحة هي السورة الأولى في ترتيب المصحف الكريم الذي يشمل مائة وأربعة عشر سورة. وهي سورة مكية وآياتها سبع لقوله تعالى: "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" سورة الحجر/الآية:87.

وهذه السورة لها عدة أسماء منها، الفاتحة، الكافية، الشافية، أم القرآن، الصلاة... وهي على قصرها قد اشتملت معاني القرآن الكريم ومقاصده إ ذ جمعت كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات. فقد تناولت الإيمان بصفات الله الحسنى بدءا بتوجيه الحمد لله رب العالمين. هذا الحمد الذي يثقل شعور المؤمن بنعم الله، وكريم فضله، وجميل، آلائه البادية في تكوينه للعالمين جميعا. كما أن (رب العالمين)عبارة يمثل قاعدة التصور الاعتقادي، إذ أن الربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية. والعبارة بكاملها (الحمد لله رب العالمين) تذكر أن كل النعم تفضل من الله تعالى ورحمة منه، مما يستوجب حمده ثم يضطر إلى وصفه بصفاته العظمى (الرحمن الرحيم) التي هي صفة تستغرق كل معاني الرحمة. والتي تذكر الناس أنهم في حاجة إليها: (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)الآية:199 /سورة الانفطار، فيكون سبحانه (ملك يوم الدين) حيث يحاسب الخلق. وأقصى درجات الإستلاء والسيطرة هي للملك وهو رب العالمين، ولا ينجو أحد من عقابه إلا من شملته رحمته لأن هو (الرحمن الرحيم). ولذلك فإن هذا المخلوق في أشد الحاجة إلى من يهديه إلى الصراط المستقيم، وليس له إلا خالقه ومولاه فيلجأ إليه، وليعتمد عليه وليخاطبه بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين"، ثم ليسأل الهداية من فضله (اهدنا الصراط المستقيم) صراط الذين أنعم عليهم باتباع الحق من الأنبياء والرسل، والصالحين والأولياء. غير المغضوب عليهم من الذين علموا الحق وطريقه وانحرفوا عليه، وغير الضالين التائهين الذين يريدون الحق ولايسعون للوصول إليه (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

إعلان

رسائل وأطروحات جامعية

سيناقش الطالب الباحث ابراهيم أمونن بدار الحديث الحسنية بالرباط بحثا في موضوع: المنحى اللغوي في التفسير: تفسير القرطبي نموذجا من خلال تفسير سورتي الفاتحة والبقرة.

لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية وحدة مؤلفات التفسير والحديث في الغرب الإسلامي.

وذلك بتاريخ 9 يوليوز2004م مساء.

وتتكون لجنة المناقشة من السادة:

الدكتور محمد الرواندي رئيسا.

الدكتورة فريدة زمرو مشرفة.

الدكتور عبد الحميد عشاق عضوا.

الدكتور الناجي لامين عضوا.

العقيدة الإسلامية في ظل الكتاب والسنة

■ للأستاذ : العربي الفاسي

■ الدين ظاهرة إنسانية لم تخل منها أمة من الأمم ، منذ فجر التاريخ حتى اليوم والتدين خاصية مميزة للإنسان عن غيره من أنواع الحيوان، حتى لقد قيل في تعريف الإنسان : إنه حيوان متدين، كما قيل : حيوان ناطق ، وحيوان اجتماعي وغير ذلك ويقتضي الدين معبودا وعابدا يتصلان بالعبادة ، ومقدسا ومسبحا ، يتوجه بالتقديس والتسبيح . وقد تدرجت البشرية من عبادة مظاهر القوى الطبيعية ، من صنوف النبات والحيوان والحجارة ، إلى عبادة الشمس والقمر والكواكب ، إلى عبادة الله الواحد القهار . وهي عبادة قديمة ، منذ أن أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، لأن العقل لو ترك وشأنه ، ما اهتدى وحده إلى وجود خالق الكون ومدبر العالم. وقد أرسل الله على مر التاريخ كثيرا من الأنبياء والرسل ، يدعون قومهم إلى الهدى، ويرسمون لهم طريق النجاة ، ولكن سرعان ما يعود الناس إلى سيرتهم الأولى ، متبعين خطوات الشيطان، منكرين الألوهية ومحرفين كلام الله.

وقد أراد الله تعالى أن يتم على البشرية نعمته ، وأن يكمل لها دينها، بنفي ما علق بالأذهان من التحريف ، والانحراف عن الدين الحق ، فارتضى لهم خاتم الرسل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ورسالة الاسلام آخر الرسالات. وجعل هذا الدين الإسلامي كاملا عقيدة وشريعة ، ظاهرا على الأديان كلها . وأنزل القرآن بالحق مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ، وشاهدا بصحة تلك الكتب ، ورقيبا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع ، ومؤتمنا عليها. قال تعالى في الآية 48 من سورة المائدة :" وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه..."

لقد عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة التوحيد على الناس عرضا ، كله السهولة واليسر ولفت أنظارهم إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرضين ، ونبه فطرهم إلى ما تحس به من عوالم الغيب ، فاستطاع بذلك أن ينقلهم من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد ، ويملأ قلوبهم بالإيمان واليقين.

وبذلك كان أول عنصر يتخذ موقعه في المنهج الرباني ، هو عنصر العقيدة الذي يشكل أساسه المكين . نظرا لمركزية العقيدة القائمة على التوحيد ، الذي أزاح من كيان الإنسان كل العقد والعوائق التي صنعها الشرك ، بعقائده التي شلت قوى النفس ، وعطلت المواهب على التفكير والعطاء.

فما يراد من كلمة" عقيدة" وما معنى هذه الكلمة في اللغة وفي الاصطلاح؟ العقيدة هي الأمور التي يصدق بها القلب ، وتطمئن إليها النفس، وتكون يقينا عند أصحابها . لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك . وعقد الرجل قلبه على شيء عزم عليه ولزمه، وقد جاء في لسان العرب في مادة عقد: الجزء الثاني صفحة 836 " اعتقد الشيء : صلب واشتد" ، ومادة" عقد" مدارها على اللزوم والتأكد . ففي القرآن الكريم " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان" سورة المائدة الآية : 89 وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه بخلاف لغو اليمين التي تجرى على اللسان بدون قصد.

وفي الاصطلاح افراد المعبود بالعبادة، مع اعتماد وحدته ذاتا وصفات وافعالا، وعلم العقائد والذي يسمى أيضا علم التوحيد وعلم الكلام، والفقه الأكبر، تدور موضوعاته حول صفات الله تعالى ، والإيمان به وما يجب له من المحبة والخشية والطاعة، والإيمان برسله، وملائكته ، وكتبه ، واليوم الآخر.

وهذا العلم هو علم العلوم الإسلامية على الإطلاق ، لأن العقائد في الإسلام هي الأصول التي تبني عليه فروعه ، والأسس التي يقوم عليها بنيانه، والحصون التي لابد منها لحماية المسلم من أخطار الشك ، وأعاصير التضليل والتزييف، ولإدراك الأهمية الكبرى لهذا العلم يكفي أن نعلم:

1 . أن جميع الأعمال الصالحة التي قوم بها الإنسان ابتغاء مرضاة الله، موقوف قبولها عند الله تعالى على صحة العقيدة التي هي موضوع هذا العلم ، لأن الانحراف عن العقيدة الصحيحة ، انحراف عن الإيمان ، والانحراف عن الإيمان هو الكفر . والله لا يقبل من كافر عملا .

قال تعالى:الآية 217 من سورة البقرة «... ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».

2 . أن تعلمه يؤدي إلى القيام بواجب مقدس مجمع عليه . وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجبة له وتنزيهه عما لا يليق به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس.

قال تعالى: في الآية: 19 من سورة محمد « فاعلم أنه لا إله إلا الله...» وقال عز وجل في الآية 136 من سورة النساء: «يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا»

3 . أن أساس الإسلام عقيدته . ومكمن العقيدة فيه إنما هو الإيمان بوجود الله عز وجل ووحدانيته، فلا مطمح في تحقيق شيء من أحكام الشريعة الإسلامية إن لم تكن المبادئ الاعتقادية مركزة من قبل في ذلك القلب ، ولا مطمح في ارتكاز شيء من هذه المبادئ إلا بعد الإيمان بوجود الخالق جل جلاله.

العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة:

العقيدة ليست مختصة بالإسلام . لكل ديانة أو مذهب ، لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم . والعقائد منذ بدء الخليقة وإلى اليوم هي على قسمين:

القسم الأول: يمثل العقيدة الصحيحة ، وهي التي تستمد شرعيتها من دين الله الذي بعث به رسله عليه الصلاة والسلام وهي توحيد الله ، وتخصيصه بالعبادة، وتساوي المخلوقين جميعا في العبودية له سبحانه ، وهي عقيدة واحدة . لأنها منزلة من العليم الخبير ، قال تعالى في الآية 25 من سورة الأنبياء " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ " أفضل ما قلته والنبيؤون من قبلي:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له"

القسم الثاني : يشمل العقيدة الفاسدة على كثرتها وتعددها. وهي عقيدة تقوم على إنكار وجود الله، أو الاعتراف بوجوده ، مع إشراك غيره في العبادة، كعقائد الملحدين والمشركين وأهل الكتاب ، وقد اعتبرت فاسدة لأنها:

1 . من نتائج أفكار البشر، ومن وضع عقلالهم ومفكريهم . ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدودا، مقيدا بقيوده ، متأثرا بما حوله من عادات وتقاليد وأفكار .

2 . لا تنسجم مع ما أودع الله في ضمير الإنسان وغريزته في فطرته من ميل إليه، وإقرار بربوبيته واعتراف بوحدانيته . وما أخذ الله من عهد بذلك عليه منذ أول نشأته . قال تعالى في الآيتين 172 . 173 من سورة الأعراف " وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون".

3 . لا تستند على أي أساس صحيح من العقل أو النقل وإنما فقط على الأهواء والظنون وما تهوى الأنفس ومعلوم أن هذه المستندات الواهية لا تغني من الحق شيئا ، ولا يقيم لها أهل العدل والإنصاف وزنا.

وحيث أنها هكذا منقطعة الصلة بفطرة الإنسان السوية وعديمة الحجة في عقله السليم، فإنها لابد أن تكون ضارة وغير مستقرة ، وبذلك شبهها الله تعالى بالشجرة الخبيثة ذات الثمار المرة والجذور الواهية ، التي لا قرار لها فقال عز وجل في الآية 26 من سورة إبراهيم: «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» وكيف لها قرار وهي باطلة؟ ألم يقل الله تعالى في الآية 81 من سورة الإسراء:« إن الباطل كان زهوقا».

والعقيدة الصحيحة لا توجد إلا في الإسلام لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" سورة الحجر الآية 9 . والعقائد في غير الإسلام وإن كان في غيرها نثف من الحق فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه، فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة ، فإنه يجدها في الإسلام، في أصليه : الكتاب والسنة ، صافية مشرقة ، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانا ويقينا ، ونورا وحياة ، يقول الله تعالى في الآية:52 من سورة الشورى، وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من يشاء من عبادنا»

مراحل العقيدة الإسلامية:

لقد مرت العقيدة الإسلامية بمرحلتين:

. الأولى:مرحلة أخذ ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ويمثل هذه المرحلة عصر النبوة والصحابة . فقد كانت العقيدة الإسلامية في عهد الرسالة ، وزمن الصحابة والسلف الصالح، تؤخذ من القرآن الكريم الذي أرشد الناس إلى وجود الله تعالى ، ووحدانيته ، وعلمه المحيط بكل شيء وانفراده بخلق الكون وتدبيره ، كما تنص على هذا آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل منها قوله تعالى في سورة الصافات الآية 126 " الله ربكم ورب آبائكم الأولين" وقوله تعالى في الآيتين 101 . 102 من سورة الأنعام : وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل".

وقد استمر أخذ العقيدة الإسلامية والتعرف عليها من القرآن الكريم إلى أن اتسعت رقعة الإسلام واندس فيه كثير من العناصر التي لا تدين بوحدانية الله، ولا تقر برسالة سيدنا محمد (ﷺ) في أعماق نفوسها وإنما تسترت بإعلان إسلامها لأغراض أخرى أرادت تحقيقها.

. الثانية : مرحلة إثبات مسائل العقيدة بالأدلة العقلية المنطقية التي اتبعها المفكرون المسلمون ، عندما ظهر في المجتمع الإسلامي من يشكك في العقيدة فلما صعب على تلك الفئة الضالة أن ترى الإسلام سائرا في ذلك الاتجاه من التقدم والإزدهار ، تسرعت في البحث عن الشبه والأضاليل، وبثها بين أهل التوحيد حتى يتذبذب إيمانهم ، وتتزعزع عقيدتهم ، ثم تتصدع وحدتهم ، وتشقق صفوفهم ، فيصلوا إلى تحقيق أهدافهم الخبيثة.

في هذه الفترة من فترات الإسلام التي عرفت أحداثا لم تكن من قبل ، بزغت المرحلة الثانية من مراحل العقيدة الإسلامية بمعناها الاصطلاحي . ونشأ علم الكلام الذي اتجه المشتغلون به إلى إثبات العقائد الدينية بأدلة عقلية، مبنية على قواعد منطقية مسلمة النتائج ، ومعززة بأدلة نقلية.

فبمعرفة قواعد على الكلام ، تدفع الشبه التي يثيرها مرضى النفوس وأعداء العقيدة الصحيحة وتدحض حججهم الزائفة، ويتضح الحق لذوي البصائر، فلا يعمى عن إدراكه، ويحرص عن قبوله إلا من حرم الهداية التي هي بيد الخالق وحده.

تحليل هدية ابن منصور الحوتي للشيخ ابن يجبش التازي

الحلقة الخامسة

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -القنيطرة

تتمة الحديث المصطنع بين المؤلف والشاشية

هذا كله إن كنت على صفة جميلة، ولايرضى خليل أن يلقى بك خليله ، إن كنت جميلة الأوصاف ، ويزين بك بعض الفتيان النظاف ، فلا تسألي عما يداخله بسببك من الكبر والزهو ، وما يغلب على قلبه من حب المجنون واللهو، ويستحقر من لم يتحل بحليته ، ولم يكن على هيئته، فربما أنشد حينئذ بلسان حاله ومقاله ، معبرا عما خطر بباله قائلا:

أين من يقط الزمان بأنس
واجتماع وألفة وسرور
واغتنام الوصال واللهو دبا
مع وجوه جميلة كالبدور

أفتراه يلام على هذه الأقوال ، وما ارتكبه بسببك من هذه الأحوال ، أو يمدح عليها ويثنى بركونه إليها ، فحاشا وكلا أن يثني عليه عاقل أو يرضى بذكره نافل ، فلو كان منور القلب والسريرة، ونظر بعين البصيرة، لقال بدلا من دينك البيتين، ما ينال به في الدار بن قرة العين.

شعر:

أين من يقطع الزمان بحزن
مستعدا ليوم سكنى القبور
فاغتنم في الدنيا اجتهادا وزهدا
هذه الدار هي دار غرور

قالت : أليس ورد بني الدين على نظافة ، ولا يتركها إلا أهل النذالة والسخافة، وقد ينفر الملائكة الكرام من الروائح الدنية، وما يتعلق بالإنسان من الغمر والطعام ، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بتفقد البراجم والرواجب ، فصار ذلك في الشريعة كالواجب، ولأن الشيطان لعنه الله يفرح بذلك ، ويجر بسببه إلى المهالك ، ويقعد على ما طال من الأظافر ، ليقع بين الخلائق التباعد والنفار، ولأن النفوس مكروهة على حياة الأوساخ والأردان واستثقالها ، لاسيما على الإخوان.

وأما السادة والقادة، فالنظافة في حقهم عبادة ، لأنهم نجوم الاقتدا، ومصابيح الاهتدا، فالمصابيح إذا علاها شيء من الوضر، كالنجوم إذا غشيتها سحائب المطر ، فتعمى الأبصار عن مهايع الإرشاد، والقلوب عن بلوغ المراد، وقد كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يستعمل الطيب ، مع أن عرفه وطيبه أطيب من كل مسك، طيب ، حتى كان يرى ويبصه في مفرقه، وربما امتزج به شذا عرفه ، وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام حين يريد ملاقاة بعض الأنام، ربما نظر في المرآة التي يسميها المذلة، فإن كنت عارفا فتفهم العلة، وعظم مقامه ومحله.

فقلت : جوابك في هذا المحل صحيح ، وكلامك رشيق مليح، كأنك تكلمت على ظاهر الأحكام ، وما أمر به الخلق من خاص وعام ، لكن لم توف الكلام حقه، ولم تعط صاحب كل مقام من الشروط ما استحقه ، لأنك والله أعلم لم تقدري استيفاء الغرض ، إذ نفسك ربما بقي بها شيء من المرض ، لأنها إن بقي من حظوظها بقية، لم تصل بفهمهم الجزية ، والأولى أن تقول بك الخلق ثلاثة أقسام : خاص وعام ومتوسطون قدوة الأنام:

فأما خواص القوم : فمثلي إن تعرض لذكر سنا أحوالهم ، فقد عرض نفسه للتعب واللوم، إذ لا يعبر على سنا أحوالهم إلا من نسج على منوالهم ، وجعل لهم من الذوق ما حصل لأهل المحبة والشوق ، لكن نشير لبعض أحوالهم الظاهرة ، التي هي كالنجوم الزاهرة ، بل كالشموس الباهرة ، فهم رضي الله عنهم عملوا أولا على التحقيق بمقام العبودية التي اختاره لنفسه خير البرية، ولم يتحققوا بقلوبهم شيء من الموجودات، لا من المذمومات ولا من المحبوبات عليهم فرط الاشتياق، وأقلهم شدة الاحتراق ، حتى نفوسهم تبلغ السياق، فأورثهم الرضى بقضائه والتلذذ ببلائه، حتى أنهم لو عرض عليهم المزيد، لقالوا : إذا كنت أنت المبتلى فافعل ما تريد، طاشت عقولهم للنظر إليه ، فليس لهم همة إلا في الورود عليه، كائنون مع الخلق بأجسامهم، بائنون عنهم بأوهامهم ، لم يقر لهم بهذا الكون قرار، ودمعهم على الخدين مدرارا ، يتنسمون نفحات الأزهار، أي الأسحار، إن ترد عليهم من الأحباب بعض طرائف الأخبار ، عقولهم في الحضرة العلية سارحة، التي لا يطأها إلا كرام البرية الرابحة ، فربما ينشد منشد مهما غلب عليه وارد ، ويغرد مغردهم عما ظفر به من الفوائد ، فأما الأول فربما قال حين ورد عليه وارد المقال:

ظفرت بما قد كان في مرادي
وما قد رجى طول الحياة فؤادي
حباني حبيب باستدامة وصله
وأظفر لي ودا وصار ينادي
تمتع بقربي شاهدا نور حضرتي
ولا تخشى هجري وشر بُعادي
فطال الذي كابدته من محبتي
وطال الذي قاسيته بين عبادي

فأمات الثاني ، فربما أشار لانتهاج مهيع الصفوة الذين عليه المدار قائلا:

ياطامعا قربه بادر لصفوته
عسى تنال الذي ترجو بمنته
لو كنت تعلم ما يهدي الحبيب لهم
تركت كل المنى في جنب وصلته

قالت : لقد اشرت إلى عنقا مغرب يسمع بخبرها ، وكما يرى من يقع على أثرها ، فأين من يجمع هذا الزمان الصعب هذه الأوصاف البديعة والأحوال الرفيعة الذي كان عليها أكابر آحاد المتقدمين، الذين تحققوا بمقامات اليقين ، وباعوا أنفسهم لله رب العالمين، بل طلقوها بتاتا، وصيروا حظوظها وشهواتها أشتاتا ، ولم يتركوا منها بقية وخالفوها في جميع أحوالها بالكلية فلاحت لهم معالم الطريق، وعثروا على جادة أهل التحقيق ، الذين جعلوا همومهم هما، ولا يؤثرون على محبوبهم زائدا ، فلا مطمع في سلوك منهم هولا إلا كابر ، لمن هو بين أهل العماية والغواية غابر ، فارجع بفضلك لما لنا فيه مطمع تأنس ومقنع.

فقلت : أنا أشرت لبعض أحوال هؤلاء السادة ، الذين أحوالهم كل يوم في زيادة ، لتعلمي أنك بالنسبة إليهم مدعية في أحوالك ، مفترية في أقوالك ، مرادية في أفعالك، لأني رأيتك تدعين أحوالا لم تحققي بها ولا اشتغلت بتحصيل سببها ، والمدعي كما قيل ساقط ، ورأسه بين الخلائق هابط، وأيضا خفت عليك من العجب المحنط للأعمال، ولا يبلغ مؤثرة شيئا من الآمال ، إن هو من الثلاث المهلكات التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكابر الثقات ، ولأنه لم ير لمولاه شيئا من المنة ، وخالف ما أمر به من السنة.

فقالت: رحمك الله، لقد أيقظتني من غفلتي ، ونبهتني من غواية سكرتي ، فجزاك الله بأفضل الجزا، ومنحك شرفا وعزا ، فتأملي بفضلك هذا التقسيم ، واوف لي بوعدك الكريم، لأني وجدت لحلاوتك أثرا في فؤادي ، لعلي أنال بسببك سؤلي ومرادي ، وحركت نار الاشتياق بين ضلوعي، وتزيد فروط ولوعي، وانهملت على الوجنتين سحائب دموعي.

فقلت : ما رأيت عندك إلا حلاوة اللسان، وقلة الإحسان، والإغواء لكل إنسان و تقولين ما لا تفعلين ، ونار حب الدنيا في قلوب مخالطيك تشعلين ، وأرى السلامة في مجانبتك والعافية في مقاطعتك ، إذ المرء على دين خليله ، ويسري عليه أثر فعله من حقيرة وجليلة ، فإن كان صالحا فهو كالعطار، وإلا فهو كنافخ نار ، لكن أوفي لك بالموعود ، ولا أرضى لنفسي بنقض العهود ، لأن مخلف الميعاد، مستحق للهجر والبعاد ، وينال من أحبابه صفو الوداد ، إذ هو يوقع في الكذب، والمين، فوجب علي الوفاء به، إذ العدة دين.

فلنرجع إلى ما كنا بسبيله ، ونقول : بعد الرغبة إلى الله عز وجل في التوفيق لأفضل مقول ، وأما المتوسطون القادة ، ومن أشبههم من السادة ، فمنهم من حاز في مقامه درجات الكمال، وجمع تحقيق الأقوال، وتصحيح الأفعال ، وبذل النصيحة، والتزام النية الصحيحة والشجاعة، والسخاء في أوقات الشدة والرخاء ، وسلامة الصدر، والوقوف عند النهي والأمر، والحب في الله ، والبغض في الله، إذ بهما يظهر الصدق العامل مع مولاه ، وفيهما تقوية لأهل الطاعة، وزجر لأهل شر بضاعة ، فمن جمع بين هذه الأوصاف ، سالكا سبيل الإنصاف ، استحق السيادة ، وظهرت عليه آثار الزيادة وليس عليه حرج في لباسه، ولو وضع التاج والإكليل على رأسه ، لأنه توسط في الأمور ، وانتهج مهيع السادة من الجمهور ، واستوى عنده الباطن والظاهر، ونور الاتباع عليه ظاهر ، فربما يشير إلى بعض أشعاره ، محرضا على اقتفاء آثاره:

عليك بنهج الهاشمي محمد
تنل كل ما ترجوه من كل مشهد
وتدرك في الدارين عزا ورفعة
وتشرب يوم الحشر من كل مورد
وتعطى مقاما في كريم جواره
وما ليس يحصى من نعيم مخلد

وأما من دونهم من أصحابهم ، فهم متفاوتون في مقاماتهم وأسبابهم ، كل على ما سبق له في أم الكتاب وما قدره العزيز الوهاب.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1076
السنة37
الجمعة 21 جمادى الأولى 1425 هـ
الموافق 09 يوليوز 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1076 الجمعة 21 جمادى الأولى 1425 هـ ، الموافق 09 يوليوز 2004م

مع فضيلة الشيخ المكي الناصري في مساره العلمي والنضالي

■ بقلم المرحوم: سماحة الشيخ محمد المكي الناصري

الحلقة الثانية

■ وخلال سنوات الدراسة لم أقتصر على الاحتكاك بالأوساط الطلابية وحدها، بل سعيت إلى توسيع دائرة علاقاتي مع الأوساط المصرية المختلفة، عن طريق أساتذتي المصريين بالجامعة، ولاسيما مع الوسط الصحافي والوسط السياسي،وأصبحت أكتب بين الحين والحين في صحيفة (الفتح) ومجلة (الزهراء) وجريدة (الأخبار) وجريدة (السياسة) ومجلة الشباب المسلمين، و(صحيفة الجامعة المصرية) التي يصدرها طلبة الجامعة، ومجلة (نور الإسلام) التي يصدرها الأزهر الشريف، ومجلة (المعرفة) لصاحبها الاستاذ الاسلامبولي، وكان أغلب كتاباتي خلال هذه الفترة يدور حول التعريف بالمجتمع المغربي، ووصف النهضة المغربية الحديثة، وكنت أوقعها غالبا بتوقيع مستعار، أما كتاباتي الفلسفية وأبحاثي الإسلامية فكنت أوقعها باسمي الصريح، وكانت كتاباتي المغربية الصادرة في الصحف المصرية إذ ذاك هي الباكورة الأولى في التعريف بالحركة الوطنية وبقلم أحد مؤسسها العارفين بنشأتها وتطورها، مما لفت نظر بعض الباحثين الأجانب الذين اطلعوا عليها إلي لأهميتها الخاصة.

ولا مبالغة إذا قلت أن مصر كانت خلال المدة التي قضيتها في الدراسة بجامعتها، أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، هي قمة النهضة العربية الحديثة، ثقافيا وسياسيا، تعج بكبار الخطباء والزعماء الذين تهتز بهم المنابر في المهرجانات الوطنية والسياسية، وبكبار العلماء والأساتذة الذين تزدان بهم المجالس والندوات العلمية، وما من جمعية من جمعياتها إلا ولها برنامج مرسوم ونشاط معلوم، وما من ناد من نواديها إلا وهو مركز للتثقيف والتوعية، ومعهد للتربية الروحية والجسمية، مما يفيد كل وافد عليها، وراغب في الاستفادة منها، علما وتجربة، وخبرة وممارسة، ويقدم له نموذجا حيا طريفا جديرا بالاحتداء والاقتداء، أضف إلى ذلك ماتزخر به صحف الصباح والمساء، والمجلات المتنوعة الاتجاهات والآراء، ففي كل واحدة منها مالذ وطاب، مما يملأ أوسع الوطاب.

ولهذا كله لازمت الإقامة بمصر طيلة هذه المدة، فلم أفارقها منذ التحاقي بها إلا لماما وخلال عطلة الصيف، وبعد إقامة سنتين كاملتين قمت بأول زيارة للمغرب خلال صيف سنة 1929، وكان بعض الزملاء المنافسين الذين لم يسعدهم الحظ بالرحلة إلى مصر والدراسة الجامعية بالخارج قد أخذوا يروجون في بعض الأوساط المغربية أنني تنكرت لمبادئ السلفية واختياراتي الاسلامية، بدعوى إقبالي على دراسة الفلسفة، والتحاقي بالجامعة المصرية، وبمجرد حلولي بالمغرب خلال تلك العطلة الصيفية عقدت عدة حلقات بمساجد الرباط، وألقيت عدة محاضرات عامة كان لها صدى طيب وتأثير عميق، لما برز فيها من منهج جديد، وأسلوب فريد، وتحليل فلسفي للمبادئ السلفية، وإثارة عميقة للروح الوطنية، وقد كان منطلق تلك الدروس والمحاضرات كلها تفسير آيات بينات من الذكر الحكيم، فتبخرت ادعاءات المدعين، وسقطت سفسطة المنافسين، وعدت عند نهاية تلك العطلة إلى مصر مرفوع الرأس، مزودا بثقة المحبين، ومساندة المعجبين.

وفي شهر مايو من سنة 1930 عدت للمغرب، بعدما أنهيت السنوات المقررة للدراسة العليا بشعبة الفلسفة في كلية الآداب بالجامعة المصرية، وودعت أساتذتي وأصدقائي المصريين والشرقيين وزملاء من الطلبة المغاربة، وفي طليعة من ودعوني وعاهدتهم وعاهدوني الاستاذ محب الدين الخطيب رحمة الله عليه، الذي كتب لي بخط يده في مذكرتي اليومية عبارة الوداع الآتية: "أودع في مساء هذا اليوم أخي السيد محمد المكي الناصري الذي عرفت في فضله، ورويته، وجلده، وبعد نظره، وارث روح آبائه المجاهدين، الذين كانوا حماة الاسلام على تخوم أوروبا، وحاملي مصباحه إلى أمم الغرب، والعهد بيني وبينه إلى يوم الدين الأمانة والوفاء للعربية والإسلام، ووداعا إلى الملتقى. الامضاء: محب الدين الخطيب"

وكانت حصيلة دراستي بشعبة الفلسفة فيما بين سنة 1929 وسنة 1930 هي دراسة المواد الآتية: الفلسفة الاسلامية، الفلسفة العامة، علم النفس، علم الأخلاق، المنطق القديم والمنطق الحديث، تاريخ الفلسفة القديمة والمتوسطة.

أما حصيلة مختاراتي من الشعب الاخرى بكلية الآداب فهي دراسة المواد الآتية: التاريخ الاسلامي بما فيه السيرة النبوية وقيام الدولة العربية، ونظمها الادارية والسياسية، تاريخ اليمن قبل الإسلام، تاريخ العصر الوسيط حياة العرب العقلية، دروس في تفسير القرآن الكريم، البحث العلمي، أصول النقد الأدبي، النقد الأدبي عند اليونان والعرب، الخطابة، البلاغة، الأدب الجاهلي، الأدب الأموي، دروس عامة في الأدب الفارسي، تفسير نصوص عربية وفلسفية، من بينها كتاب البصائر النصيرية لزين الدين عمر ابن سهلان، وكتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي، وكتاب مقال في المنهج لديكارت، وكتاب أسرار البلاغة، وكتاب الصناعتين، وكتاب طبقات الشعراء، والخصائص في فقه اللغة لابن جني، والقسم الأول من كتاب سيبويه.

وبعد بضعة أسابيع من عودتي لمسقط رأسي ظهرت في الجو فضيحة "الظهير البربري" الذي يمزق وحدة الشعب المغربي الدينية والقومية شر تمزيق، مما أثار غضب الشعب واحتجاجاته السلمية بقراءة "اللطيف" في مختلف المساجد، فشاركت رفقائي الرباطيين في الحركة الاحتجاجية ضد ذلك الظهير، واعتقل منهم بالخصوص رفيقي في حلقات الدروس بالرباط الاستاذ عبد الله بن العباس الجراري رحمة الله عليه ثم أطلق سراحه، وكانت مواجهة السلطة لهذه الحركة بالرباط أخف من بقية المدن بحكم أن المراقبة فيها مراقبة مدنية لا عسكرية، ومساهمة مني في توعية الشعب، وتغذية الشعور الوطني والإسلامي حاولت إعادة تجربة الدروس والمحاضرات العامة بالمساجد على غرار صيف العام الماضي، فحيل بيني و بين ذلك، اللهم إلا في مدينة تطوان وحدها حيث استضافني أصدقائي الكرام، وفي طليعتهم السادة الحاج عبد السلام بنونة وشقيقه الحاج محمد وصهره الأستاذ محمد داود، ورفيقي في الدراسة بمصر الاستاذ عبد الخالق الطريس الذي التحق بي في شهر اكتوبر 1928 وسكن معي في شقة واحدة هو ورفيقه الاستاد محمد الطنجي، وكان قد عاد إلى مسقط رأسه، فاتفقت معهم على إلقاء دروس تفسيرية بالجامع الكبير، وألقيت به ثلاثة دروس في تفسير سورة النحل، وذلك بين العشاءين أيام 18.19.20يوليوز 1930، وقد وصف تلك الدروس بإعجاب شديد شيخ الوطنية الكبير المرحوم السيد الحاج عبد السلام بنونة في مراسلة مع ولده السيد الطيب، الذي كان يدرس وقتئذ بنابلس، وتوجد تلك المراسلات في الجزء الأول من الكتاب الصادر عن (حياة الحاج عبد السلام ونضاله)، ومما جاء فيها "إن تلك الدروس حضرها ما يزيد على خمسمائة مستمع" وفي ختم الدرس الأخير ألقيت كلمة شكر ووداع لأهل تطوان الاعزاء تولى جوابي عنها الاستاذ السيد محمد داود صهر الحاج عبد السلام بنونة رحمهما الله، ويوم 22 يوليوز 1930 غادرت تطوان قاصدا طنجة على أمل القاء دروس بها للتوعية الدينية والوطنية، لكن بمجرد وصولي إليها صدر أمر من "المندوب" بمنعها، ومغادرة طنجة في الحين، ونفس الموقف واجهني به رجال السلطة بالقصر الكبير، وبعد نحو ثلاثة أسابيع من زيارتي لتطوان وإلقاء دروس بها ومغادرتي لها حل فجأة بطنجة عطوفة الأمير شكيب أرسلان قادما من الديار الأندلسية، فاستقبله رفقاؤنا وعلى رأسهم السيد الحاج المختار احرضان، وكان ذلك يوم 14 ربيع الأول 1349 الموافق10غشت1930، وحضر لزيارته بطنجة المرحوم الحاج عبد السلام، بنونة، وهيأ الجو لزيارته لتطوان، فانتقل إليها الأمير شكيب يوم 18 ربيع الأول. الموافق 14 غشت من نفس العام والسنة وأقيمت له حفلة تكريم كبرى بدار عبد السلام الحاج بحومة الجامع الكبير يوم 17 غشت، وهكذا لم يسعدني الحظ شخصيا بمقابلة الأمير شكيب أرسلان فوق تراب المغرب ولا بالمشاركة في حفل تكريمه الخالد، لأني كنت قد فارقت طنجة وتطوان منذ عدة أسابيع وعدت إلى الرباط وعند عودتي للرباط من زيارتي للشمال بدأت أفكر من جديد في القيام برحلة أخرى إلى الخارج مع بعض الزملاء، وهذه المرة إلى باريس، فقد أصبحت بلادنا مهددة بالاجهاز على وحدتها الوطنية، سياسيا وإداريا وقوميا، ولابد من التفكير والاستعداد للقيام بحملة اعلامية واسعة النطاق ضد السياسة الاستعمارية بالمغرب، فتعاهدنا على أن نجعل في طليعة نشاطنا المقبل تنظيم هذه الحملة في فرنسا نفسها ومن فرنسا إلى العالم، وبذلك تبدأ محطة ثالثة من نوع آخر.